
روايات مصرية للجيب
50
ما وراء الطبيعة
فى جانب النجوم
د. أحمد خالد توفيق
عدد خاص

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة
روايات مصرية للجيب

فى جانب النجوم

حقًا يوجد الكثير من الشر فى هذا العالم .. لكن الخير ما زال يملك الكلمة الأخيرة ، أو - على الأقل - ما زال يملك الحكم على الأشياء : هذا حسن .. هذا شرير ..
فى عالمنا ثغرات تقود إلى جانب النجوم الرهيب ، حيث أسوأ كوابيسك تتحقق ، وحيث يملك الشر وحده أن يصك الأحكام ، وحيث القسوة هى اسم اللعبة ..
ماذا يفعل (رفعت إسماعيل) فى عالم كهذا ؟ .. وكيف يستطيع الفرار أو يحلم به ؟

٤١٧١٠٠٢



د. أحمد خالد توفيق



الثمن فى مصر
ومايعادله بالدولار ا
فى سائر الدول العرب

طباعة ونشر
سسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٢

العدد القادم
أسطورة الرقم المشئوم

50

روايات مصرية للجيب

•

ماوراء الطبيعة

فى جانب النجوم

روايات مصرية للجيب

●

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنَّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

إشراف

الأستاذ / حمدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايــات تحـبس الأنفــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

50

فى جانب النجوم

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق





مقدمة

هذا هو الكتيب الخمسون ..

غريب أن يكتب المرء الكتيب الخمسين ، لكنها الحقيقة ..

وإننى لأتذكر أول يوم التقيت فيه بكم ، وكتبت أول سطر من قصتى الأولى : « أعتقد أن الوقت قد حان كى أمسك القلم وأكتب عن .. » .. ومن يومها لم أترك القلم لحظة واحدة حتى اليوم ..

يومها بدا لى رقم الخمسين بعيدًا جدًّا .. مرهقًا جدًّا .. ضربًا من الخيال العلمى .. حقًّا كنت أومن جديًّا أننى سأتوقف عند الكتيب الخمسين لو بلغته .. وقد سبق أن قلت لكم إننى عدلت عن قرارى السرى هذا الذى لم يعرفه إلا القليل من أصدقائى .. والسبب ؟ مازال لدى ما أقوله .. من العسير أن يخرس المرء لأنه قرر أن يخرس ..

هذا هو الكتيب الخمسون ..

حكيت لكم تسعًا وأربعين قصة ، اختلفت حولها الآراء ، فما راق لبعضكم أثار أعصاب البعض ، وما كرهه بعضكم

هام به البعض ، ومابدا للبعض مملاً بدا للبعض مثيرًا يحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة !

لكنى ـ وسط اختلاف الآراء ـ أعترف بأننى لم أحك قصة إلا وأنا أعتقد ساعتها أنها جيدة .. ربما خاننى التقدير أو خانتنى الموهبة أو خذلنى القلم فى قصة أو أخرى ، لكنى كنت دومًا صادقًا وأحببت كل قصة حكيتها قبل أن أحكيها ..

ما هى أفضل قصصى؟ لا أعرف .. أفضل قصصى لم أكتبها بعد .. ومازلت أشعر بأننى هاو يجرب ويبحث عن الأسلوب الأفضل .. حاوٍ لم يبتكر أفضل حيله بعد .. لص ـ لو سمحتم لى بالتعبير ـ لم يضرب ضربة العمر بعد ..

لهذا أستمر .. ولهذا أعجز عن التلفظ بكلمات الوداع التى حسبت أن حينها قد حان ..

والآن دعونا من هذا الكلام ، ولنتحدث عن حلقة اليوم ..

هذه حلقة الرعب الخامسة .. تدور فى جانب النجوم الذى تأتى منه المسوخ لتزيد الأمور سوءًا فى عالمنا ..

أنا أراها جيدة مثيرة فهل سترونها كذلك ؟

اقرءوا هذا الكلام من أوله لعل فيه الإجابة !

المسافر الذى لا يحب الأضواء

كانت ليلة طويلة ..

أضواء أضواء أضواء في كل صوب .. وهدير المحرك ، وفي المذياع أغنية لأم كلثوم من تلك الأغاني التي تفعمها الكهرباء الاستاتيكية ، والنتيجة هي أنك لاتميز حرفًا سوى همهمة طويلة تجعل عينيك تتثاقلان ..

كانت أم كلثوم قد كفت عن تقديم حفلها الشهري ، وبالتالي صار مدمنوها يفتشون عن صوتها في محطات المذياع ، كما يفتش البيض عن ماسة في منجم بجنوب إفريقيا .. وما كنت لأغلق المذياع ، فقد خطر لي أن هذا الصوت هو الشيء الوحيد الذي يبقيني مفتوح العينين ..

والحقيقة أنني كنت واهمًا .. لم يعد شيء يستطيع إبقاء عينيّ مفتوحتين إلا ما بقي لدي من إرادة حديدية ..

كنت في مأزق ، وأعرف أنني في مأزق .. إنهم

ينصحون السائق فى مثل ظروفى أن يبحث عن أقرب يمين ليتوقف على جانب الطريق ، ويغفو هناك حتى يفيق .. لكنهم واهمون ! من قال إن جانب الطريق هنا أقل خطرًا من القيادة النائمة ؟ وصوت (الست) يأتى من بعيد : « أغدًا ألقاء ؟ يا خوف فؤادى من غد .. » أعرف أنها تقول هذا لأننى أعرف الأغنية من قبل فقط ..

أضواء .. أضواء على الطريق المظلم الممتد إلى ما لا نهاية ..

أضواء .. أضواء فى مرآة الرؤية الخلفية .. وعيناى تدمعان كأى قصير النظر ليلاً ..

كنت فى حاجة إلى النوم .. لم تستطع كل القهوة التى ملأت بها جوفى فى الكافتيريا أن تفعل شيئًا .. كل هذا (الكافيين) حاول أن يبقى جفنى لأعلى وفشل ..

كنت فى حاجة إلى النوووووم ..

* * *

أخيرًا لم أجد بدًا .. اتجهت بالسيارة إلى جانب الطريق

الترابى ، وأوقفتها وشغلت أضواء الانتظار المتقطعة ..

نظرت إلى الظلام الدامس بالخارج .. ظلام أولى بكر لايمكن أن تتبين معه يدك .. غمرت القشعريرة ظهرى ، وأغلقت الزجاج ما عدا فرجة للتنفس ، وأغلقت زر التأمين ..

وأرحت رأسى على عجلة القيادة وفى نعاس عميق غبت ..

كم من الوقت نمت ؟ لا أدرى .. لكنى فتحت عينىّ لسبب لا أعرفه .. ذلك الحافز الخفى الذى يوقظنا حين ينظر شخص بإمعان لوجوهنا ونحن نيام .. وهذا معناه الأوحد أن لنا أكثر من عينين .. ثمة عين لانراها يختص بها وعينا ..

(بالمناسبة ليس ما سيأتى بعد هذا حلمًا .. أعرف أن القراء يحبون البحث عن لحظات النوم فى بدايات القصص ، والتى ستفسر القصة كلها على أنها حلم فيما بعد) ..

كان هناك من ينظر لى عبر زجاج النافذة المجاور لى ، وكان يقرع الزجاج فى رفق ..

كان رجلاً .. هذا ما استطعت إدراكه .. وكان أشيب الشعر له سمت حزين كئيب ..

برغم حذرى البالغ وإيمانى أن ما يحدث لى يختلف دائمًا عما يحدث للآخرين ، فتحت زجاج النافذة ببطء ليدخل البرد والصوت ، وسمعته يقول لى بنفس الصوت الحزين الكئيب :

ـ « هل لديك مشكلة ما ؟ »

هززت رأسى أن لا ..

ـ « هل تأخذنى معك إلى (...) ؟ »

لم أستطع أن أقول لا .. يمكنك ببساطة أن تتجاهل من يحاول الركوب عن طريق (الأوتوستوب) ، لكن من المستحيل أن تتجاهل من يطلبها منك والعين فى العين .. والرجل على كل حال واهن مسن لا يوحى بأنه من (أهل ذلك) ..

سألته دون أن أفتح الباب :

ـ « من أين جئت ؟ »

ـ « من (...) .. لقد تعطلت سيارتى ولا بـد مـن أن أجد ميكانيكيًا فى البلدة المجاورة .. »

لا بأس .. بالإضافة لكون هذه مهمة إنسانية ، أرى أنـه سيكون عسيرًا علىّ أن أنام فى صحبة هذا ..

مددت يـدى ، وفتحـت لـه البـاب الأيمـن .. ثم أدرت المحـرك بينمـا تربـع هـو علـى المقعد جوارى وهـو يلهث .. قال شيئا عن جمـال الدفـء .. أضـأت المصبـاح الداخلى الواهن ، لكنه هتف بى أن أطفئـه .. هو لا يحب الأضواء ولا يطيقها ..

لم يكن مخيفًا .. وقالت لى حاستى السادسـة الشـهيرة إنـه لا غبار عليه .. كأنها جهـاز كشـاف مـن الـذى يوضـع على مداخل الفنـادق والمطارات .. دعه يمر .. ليس معه أسلحة .. ليس مذعوبًا ولا مصاص دماء .. وبالتـأكيد لم يمت منذ عامين ..

راحت السيارة تتحرك فى الظلام ، وقد طار النعاس من عينى بمعجزة ما ..

ونظرت لساعتى .. الثانية عشرة .. منتصف الليل .. لماذا فقدت صوابى ولم أنتظر حتى الصباح عند ذلك الصديق ؟ لكنى كنت فى أمس الحاجة إلى الذهاب إلى مدينة (...) .. لأن أعمالاً تنتظرنى هناك فى الصباح الباكر .. صباح باكر ؟ مستحيل أن أجد فى نفسى من القوة غدًا إلا ما يسمح لى بالنوم حتى الظهر ..

ومن جديد كانت (الست) تترنم :

ـ « آه ! كم أخشاه ! »

مما قال لى إننى لم أنم أكثر من دقائق ما دامت الأغنية لم تنته بعد ..

وجوارى كان الرجل الذى يمقت الأضواء صامتًا كالقبر .. لكنه كان يتأملنى باهتمام وتركيز .. شعرت بهذا من طرف عينى ولم أرتح له كثيرًا ، لكنى تجاهلته .. الجحيم هو نظرات الآخرين كما قال (سارتر) ، ونظرات الرجل جعلتنى بحق شديد العصبية ..

فى النهاية قلت له دون أن أحول نظرى :

ـ « هل ثمة شىء ما ؟ هل تتساءل إن كنت أشبه شخصًا تعرفه ؟ »

ونظرت له ، لكنه كان ينظر خارج السيارة .. أنا أكره هذه الطريقة .. أكره هذا الإيحاء المخيف .. أنا متأكد من أن الرجل كان ينظر لى فمتى أدار رأسه ؟ لكنى قلت لنفسى إنه فى الضوء الخافت يتساوى وضع الثلاثة أرباع الأمامى مع الخلفى .. أى أن ظلاله ستأخذ نفس المظهر سواء كان ينظر لى أم خارج النافذة .. وسمعته يتساءل :

ـ « ماذا ؟ هل قلت شيئًا »

ـ « لا شىء .. انس الأمر .. »

وواصلت القيادة والطريق يتلوى أمامى مظلمًا كئيبًا غريبًا كالرجل الذى بجانبى بالضبط ..

كان كل شىء جميلاً وكانت الحياة رائعة .. لم أدرك هذا إلا حين شق أول لسان من البرق السماء .. شرخ عملاق فى القبة السماوية يتسلل لأسفل ويغرس مخالبه

فى الأرض .. ثم دوى الرعد لأنهم علموه فى حصص الفيزياء بالمدرسة ألا يسبق البرق أبدًا ..

حجب الرجل عينيه وقال فى ضيق :

ـ « هذا برق .. »

لم أصارحه بانبهارى بعبقريته الفذة فى فهم الظواهر الكونية ، وواصلت القيادة .. الجو متوتر يثير القلق .. كل هذه الشحنات الاستاتيكية لم تذهب سدى .. بل أشعر بها فى كل خلاياى .. فى كل شعرة من رأسى ..

إن السيارة حصن آمن لكنه هش .. حصن يمكن أن ينقلب أو يتعطل أو تتلف عجلاته ، فلا تملك إلا الدعاء أن يظل متماسكًا حتى ينتهى هذا كله ..

وهنا قال الرجال أغرب شىء سمعته اليوم :

ـ « سأنزل هنا ! »

* * *

هنا ؟ ماذا هنا ؟

ونظرت خارج السيارة .. لا أرى إلا واديًا مترامى الأطراف .. الظلام فى كل صوب .. بعض أعمدة الهاتف أو الكهرباء تتناثر هنا أو هناك كأشباح عملاقة ، ومن حين لآخر يلمع لسان آخر من البرق ..

سألته فى حيرة :

ـ « هل أنت متأكد مما تقول ؟ لا يوجد شىء هنا .. »

ـ « سأنزل هنا .. »

ـ « ألم تتعلم شيئًا فى المدرسة ؟ حين تحدث عاصفة رعدية وأنت فى السيارة لا تتركها .. لأن العجلات تعزل جسم السيارة المعدنى عن الأرض .. ولو أنك نزلت من هنا لأديت عملاً رائعًا كمانع صواعق ، يجتذب البرق من كل صوب ؟ »

ـ « سأنزل هنا .. »

ـ « هل غاضبتك فى شىء ؟ أنا لم أقل سوى .. »

ـ « سأنزل هنا من فضلك .. »

هنا فقط قررت أن هذا من حقه تمامًا .. هذه هى قواعد الحرية .. افعل ما تريد دون أن تتدخل فى حرية الآخرين .. إنه رشيد عاقل ويمكنه اتخاذ قراراته بنفسه ..

ـ « إذن افتح الباب وأغلقه وراءك لو سمحت .. »

لم يقل شيئًا ولم يوجه لى عبارة شكر واحدة .. فقط فتح الباب وترجل ..

ومن جديد عدت أنظر للأفق الذى صار الآن بركة من المياه ، وقد توقف البرق والرعد ، وساد الظلام الدامس ..

ثم رأيت الضوء ..

هناك بيت .. كيف لم ألحظ هذا من قبل ؟ المسافات تخدع فى الظلام لكنى أعتقد أنه على بعد خمسين مترًا .. هل كان هناك طيلة الوقت ؟ هل كان هناك حين رحل المسافر الغريب الذى لا يطيق الأضواء ؟

بيت صغير كما يبدو لى .. يصلح كى يكون مخزنًا

للغلال .. لكنـه هنـاك بيـن أعمـدة الهـاتف والكهربـاء المترامية .. ليس حـولـه شـىء .. لاسيارات أمامه .. لكن الضوء معناه الحياة .. هناك أناس .. أناس ساهرون ..

تقولون لى ألا أذهب ؟ ماذا حدث لـ (حسن) حين اتجه إلى أول بيت مضـاء وجـده وسـط الحقـول ؟ لـم يعرف الأحمق أن هذا بيت الذئب ، وارتكب أحمق الأفعال حين تعشى بطعام الذئب ونام فى فراشـه .. والآن عاد الذئب ليجد هذا الغريب نائمًا حيث لا يجب أن ينام ..

أنتم تمزحون .. ليست هـذه قصة أطفال ، ولا يجب أن يحدث لى شىء مفزع لمجرد أننى فى الموضوع .. ثم إنكم لم تجربوا ما أنا فيـه .. الملل والبـرد والجوع وتصلب الأطراف ..

أغلقت السيارة بإحكام واتجهت نحـو البيت ، وقـدرت أننى سأستطيع فيـه المبيت أو أطلـب العـون .. ربمـا هنـاك هاتف ، وربمـا هنـاك طعام ..

★ ★ ★

خطوات بعد خطوات فى الظلام .. أنا أرى النور لكننى لا أرى ما تحت قدمى .. وتحت قدمى أوحال وماء ، ولكنى حين رأيت الوادى فى ضوء البرق منذ ساعات لم أر حفرًا .. هذا طمأننى قليلاً ..

تعثرت .. سقطت فى الوحل .. نهضت .. تعثرت .. ممشيت ..

وأخيرًا وصلت إلى البيت ..

كان بيتًا صغيرًا بالفعل من طابق واحد ، وثمة ثلاث درجات تقود إلى باب بلا أية علامة تدل على ما خلفه .. هناك نافذة جانبية هى التى رأيت منها الضوء ، لكن لا يمكن اختلاس النظر منها لأنها فوق مستوى النظر ..

قرعت الباب بكياسة ثلاث مرات ثم بعنف ثلاثًا .. لا أحد يرد .. ثم فطنت إلى أنه موارب ، وإلى أنه ينفتح ببطء مع قرعاتى .. كنت دائمًا أكره المجانين الذين يجدون الباب مفتوحًا ويدخلون ، لكن - كما قلت لكم - لم أكن أعرف أن هذه قصة رعب ..

وهكذا واربت الباب وزججت برأسى فى فتحته بحذر .. وناديت أكثر من مرة ..



كان بيتًا صغيرًا بالفعل من طابق واحد ، وثمة ثلاث درجات تقود إلى باب
بلا أية علامة تدل على ما خلفه ..

لا أحد .. لا شىء إلا مكتبة صغيرة معلقة على جدار رطب متشقق ، والغرفة مضاءة بذلك الضوء الغريب الذى جذب اهتمامى .. يبدو لى أنه ما من شىء إلا غرفة واحدة هى التى أقف فيها ، وثمة مدخل صغير جانبى .. مشيت إليه وأطللت برأسى فى حذر فلم أر إلا دورة مياه نظيفة جافة .. وقد سرنى هذا لأن ... أنتم تفهمون ما هذا ؟

كانت هناك مرآة فوق حوض الغسيل .. مرآة تساقط الكثير من طلائها المفضض ، لكنها سمحت لى برؤية وجهى المنهمك الذى جعله السهر والنوم المتقطع يزداد قبحًا .. وهنا ..

ما هذا ؟

هل مر أحد فى المرآة من خلف ظهرى ؟ فى الغرفة المضاءة التى كنت فيها ؟

هذا وارد .. أنا لم أوصد الباب خلفى ..

عدت مسرعًا إلى الغرفة فلم أجد أى واحد هنالك ..

هـذا هذيان لا شك فيه .. أنا أعرف السهر الطويـل ، وأعرف كيف تبـدأ القطـط فـى الكـلام ، والسـتائر فـى الحركة التلقائيـة .. هـذه أشياء تحدث ..

الآن فلنر المكتبة ..

لست من الأشخاص الذين يقاومون أن يروا مكتبـة ولا يعابثوا كتبها قليلاً ..

لكنى ـ حين جررت الكتاب الأول ـ شعرت بألم فى إبهامى .. هذا دبوس .. دبوس صدئ يبرز من الجلد كأنه كمين .. وقد نزف إصبعى بعض قطرات ، فـأخرجت المنديل ولففتـه بـه .. تبًّا ! مـا هـى أخبـار الكـزاز (التيتانوس) هنا ؟ أنا لا أعرف تاريخ هـذا المسـمار بالضبط ولا شك أننى سأعرف ..

الآن لنر هذه الكتب ..

لا لـم تكـن كتـب سـحر مصفـرة متسـاقطة الأوراق والحواف .. بل كانت مجرد أعداد تم تجليدها مـن مجلـة فنية كانت رائجة فى الخمسينات .. حين كانت النساء كلهـن نسـخة مـن (فاتن حمامة) أيام كانوا يسـندون

لها دورًا واحدًا : البنت المظلومة .. وحين كان (عماد حمدى) هو النموذج الأوحد لفارس الأحلام ..

لا بأس .. لقد وجدت المأوى حتى الصباح ، ووجدت التسلية .. دعك من الحمام طبعًا ، لأن هناك آنسات يقرأن هذا الكلام .. ولكن أين أنام ؟ على الأرض طبعًا ..

وهكذا غرقت فى القراءة .. وهكذا غرقت فى النعاس ..

نمت ..

* * *

ماذا حدث لـ (حسن) حين اتجه إلى أول بيت مضاء وجده وسط الحقول ؟ ولم يعرف الأحمق أن هذا بيت الذئب ، وارتكب أحمق الأفعال حين تعشى بطعام الذئب ونام فى فراشه .. والآن عاد الذئب ليجد هذا الغريب نائمًا حيث لا يجب أن ينام ..

* * *

كان اللـون الأزرق الغريب فى كـل صـوب .. لـون أزرق لا ينتمى لأية درجـة أزرق تعرفهـا ، وفيمـا بعد عرفت أن هذا لون (الإكليديس) .. لن أسـتبق الأحـداث ولكنى سأصفه بالـ (إكليديس) من الآن فصاعدًا ..

كنت راقدًا على منضـدة طويلة .. أدركت هـذا حين شعرت بصلابة الخشب وقسوته على عظامى ..

وكـان أنـاس مـن حولـى .. ليسـوا مجموعــة مــن الممرضات ولا الأطباء ولا حتى جامعى القمامة .. كـانوا يرتدون عبـاءات فضـفاضة تغطى الوجـوه .. تعرفون بالطبع التأثير المخيف للعباءة التى تغطى الرأس ، وتجعل الوجه فى الظلال بقعة من اللون الأسـود الـذى يسـتحيل أن تتبين فيه أية ملامح ..

قلت لهم وأنـا أتـأوه :

ـ « أين أنـا ؟ »

لم يفتـح أحدهم فمه لكنـى سـمعت كلامهـم ، وكـان بعربية واضحـة تتردد فى ذهنى كالأفكار :

ـ « لاتسأل أسئلة أيها الغريب .. »

ـ « من أنتم ؟ »

ـ « لاتسأل أسئلة أيها الغريب .. »

ـ « لماذا لا أسأل أسئلة ؟ »

ـ « لاتسأل أسئلة أيها الغريب .. »

ومن البداية كنت أعرف الحقيقة .. هؤلاء ليسوا بشرًا .. الأمر يفوق علمى ، وحدود العالم المادى .. أردت أم لم أرد أنا فى عالم من العوالم التى أدمن دخولها ، وأجهل كل شىء عن الخروج منها ..

وقال أحدهم ـ أعنى فكر ـ وهو يفتح أزرار قميصى :

ـ « ليس مستعدًا بعد أيها الأخ (أبراكساس) .. »

فكر الآخر :

ـ « أنت تقول أيها الأخ (بلفيجور) .. »

ـ « مادام قد جاء فهو يصلح لنا ونحن نصلح له .. مادام قد جاء فقد انتخبته الأقدار .. »

ونظرت إلى يد الرجل الأول فأثار هلعى أنه ليست فى أطراف أنامله أظفار .. بل مخالب سوداء قاسية .. أما ما كان يحمله بالضبط فلم أتبين كنهه ، لكنه بدا لى كقلب نابض ملوث بالدماء ! من أين جاء به ؟ من صدرى ؟

لا داعى للخرف .. لا شىء كهذا يحدث وإلا ما كنت لأرى أنامله هذه .. لكنى ـ برغم هذا كله ـ لم أجسر على النظر إلى صدرى .. ماذا يحدث لو نظرت ووجدت فتحة حمراء تنز منها الدماء ؟ بالتأكيد سيتوقف قلبى فى يده هلعًا !

ثم شعرت بالرجل يعيد شيئًا لى وأغلق أزرار القميص التى فتحها ، ثم فكر :

ـ « أرى أن ينتظر فى الإكليديس ، ولسوف يتقرر مصيره .. »

صحت بصوت عالٍ :

ـ « من أنتم وأين أنا ؟ »

عاد يفكر فى ذهنى :

ـ « لا تسأل أسئلة أيها الغريب .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « لأنك فى جانب النجوم .. والفانون فى جانب النجوم لا يسألون .. إنهم ينتظرون إرادتنا فحسب .. »

جانب النجوم ؟ هذا يعنى ؟

الأسطورة الرومانية القديمة عن العالم الموازى الذى يسكنه الشياطين والأشباح ومصاصو الدماء ، والذى تربطه عدة ثغرات بالأرض .. من حين لآخر ينجح أحد هؤلاء فى عبور الثغرة ويدخل عالمنا .. عندها يعم الهول ، وتغمر الدماء الأرض المعشبة .. بعدها يعود ، ويحسب البشر فقط أنهم قتلوه ..

(رومانيا) هى أكثر بلدان الأرض ثراء بهذه الفتحات .. ليس أقل من سبع فتحات موجودة بها كما تقول الأسطورة .. بينما فى مصر فتحة واحدة على الأقل ..

كانت لى ـ تذكرون ـ قصتان دنوت فيهما من جانب النجوم أكثر من اللازم .. مرة كدت أشهد قدوم (فلاد الوالاشى) إلى عالمنا ، ووقفت خلف الباب أصغى لصرخات صديقى الرومانى (جوستاف) وهو يرى جانب النجوم لأول مرة .. ولم أستطع بعدها أن أفهم منه ما رآه حقًا ..

المرة الثانية كانت حين واجهت بعض الضيوف القادمين من هذا العالم ، وكانوا مسئولين عن الاستحواذ على الصغير (رامى) .. فلم ينقذه وينقذنى إلا حب أمه وتمسكها به ..

فى كل مرة كنت أدرك أن هناك لغزًا مخيفًا يحيط بجانب النجوم هذا .. هذا عالم لايزوره المرء للسياحة .. لايتمنى أن يراه ولا يتمنى أن يرى أحدًا منه .. فما الذى وضعنى فى جانب النجوم بهذه البساطة ؟

* * *

قال الأخ (بلفيجور) الذى صرت أعرفه لأن الصوت يأتى من جهته .. وإن كان ليس صوتًا .. لنقل إنه

انطباع عام يقول إنه هو صاحب الفكرة التى تتردد فى ذهنى :

ـ « خذوه إلى الإكليديس .. »

هذا كابوس .. بالتأكيد كابوس .. لأن الرجال الذين دخلوا ليصحبونى لم تكن على أكتافهم رءوس .. كانوا يرتدون ثيابًا تذكرك بثياب جنود العصور الوسطى ، لكن لاخوذات لأنه لا رءوس .. وكان انطباع أننى أخرف هو ما أبقى عقلى سالمًا .. هذا كابوس جميل سأتذكره فيما بعد وأضحك كثيرًا جدًّا .. لكم سأسر حين أصحو فى فراشى الدافئ ، لأدرك أن أمامى أربع ساعات أخرى من النوم قبل موعد العمل ..

الرجال يأخذوننى فى مزيج من الجر والدفع إلى هذا الإكليديس الذى لا أدرى ما هو ...

نسيت أن أخبرك عن المكان .. لامكان ! هذا حق لامزاح فيه .. أنت تمشى على الأرض وتتحسس أشياء لكنك لاترى شيئًا .. فقط الكثير من الضوء الأزرق

الغامض ، والذى يطفو فيه من حولك طفوًا .. ثمة حيلة تلفزيونية قديمة اسمها (الكروما) يقومون فيها بتصوير الممثلين فى عالم أزرق بالكامل ، ويتم مزج أية خلفية على الصورة الملتقطة .. هكذا يحلق الممثلون فى السماء أو يمشون فى قاع المحيط .. أنا كنت أمشى فى عالم من (الكروما) البكر بلا خلفيات من أى نوع ..

إذن لم يكن الطريق إلى الإكليديس طريقًا بالمعنى المفهوم ، ولم يكن الإكليديس مكانًا لو كنت تفهم هذا ..

كان مساحة لانهاية لها من اللون الأزرق الذى سأسميه هو الآخر (إكليديس) كما اتفقنا ..

وأخيرًا وقفت أنظر حولى فى غباء ..

ألن ينتهى هذا الكابوس ؟؟ لقد حان الوقت .. الكابوس الحقيقى هو ألا تصحو من الكابوس ..

وهنا أدركت أن هناك مجموعة من الناس من حولى .. أناس طبيعيون لو كان لى أن أقول هذا .. فتاتان .. امرأة

فى منتصف العمر .. شابان أحدهما أقرب إلى سن المراهقة .. شيخ ..

كانوا مثلى يقفون وسط اللون الأزرق الذى لانهاية له ، وكانوا ينظرون لى فى دهشـة .. ربما فى توجس .. أدركت أنهم أجانب .. كلهم لايحملون ملامح عربيـة .. ثيابهم تتباين بين القدم والجدة .. بين الغرابة والتقليديـة .. بين القذارة والنظافة ..

هذه المرة سألتهم بالإنجليزية وأنا أرتجف :

- « أين أنا ؟ »

قال العجوز بإنجليزية لابد أنها تحمل صبغة ولكنة ألمانية :

- « أنت فى جانب النجوم .. »

- « قيل لى هذا مرارًا اليوم .. لكنى لا أجد الإجابة شافية أبدًا .. »

قال وهو يجلس فى الفراغ الأزرق :

ـ « أنت من التعساء الذين عبروا الثغرة بالعكس .. هذه ثغرات خلقت كى تعبر منها المسوخ إلى العالم الأرضى ، ولم تخلق كى يعبرها الأرضيون إلى عالم المسوخ ! »

•

صحت فى غيظ وأنا أوشك على الإصابة بالفالج :

ـ « ما هذا الهراء ؟ أنا لم أفعل أى شىء .. كان هناك ذلك البيت على الطريق وعاصفة الرعد .. والمكتبة .. ثم نمت وبعدها ... »

ابتسم الرجل فى مرارة وتبادل النظر مع الآخرين ، ثم قال :

ـ « أنت اخترت مدخلاً لتنام فيه فى ليلة عاصفة ؟ ولعلك نزفت بعض قطرات الدم هناك ! هل فعلت هذا عامدًا ؟ إنها طريقة لا تخيب لعبور الثغرة ! »

كأننى كنت أعرف أن هذه ثغرة .. وكأننى أهوى النوم فى الثغرات التى يمر منها الشياطين ، على

سبيل التسلية بدلاً من لعب الشطرنج .. عدت أسأل فى غيظ :

ـ « ليكن .. وهل أنتم جميعًا أرضيون ؟ »

ـ « جميعنا .. وكلنا ارتكب خطأ مشابهًا فى وقت أو آخر .. »

ـ « منذ متى أنتم هنا ؟ »

قالت إحدى الفتاتين بإنجليزية أمريكية لاشك فيها :

ـ « أنا هنا منذ أشهر حسب تقاويم الأرض !! »

وقالت الأخرى بلكنة فرنسية من التى تحيل الراء غينا :

ـ « وأنا هنا منذ قرنين حسب تقاويم الأرض ! »

هل هو سيرك ؟ أنا رأيت وعشت أغرب الأمور فى حياتى ، لكنى مازلت بحاجة إلى الكثير من الصودا كى أهضم كل هذا الذى أسمعه .. ثمة شىء واحد أنا واثق منه جيدًا : هذا ليس كابوسًا وإن بدا كذلك ..

الكابوس لايطول إلى هذا الحد .. ولا يأخذ هذا الإيقاع الرتيب المميز للواقع ..

عدت أسألهم :

ـ « ولماذا يضعوننا هنا ؟ »

قال أحد الشابين بإنجليزية لابد أنها بريطانية :

ـ « لاندرى .. بعضنا انتهت مهمته وبعضنا لم يبدأ بعد مثلك .. معنى هذا أن الوقت قد جاء .. »

آهههههههههه ! هذا هو بيت القصيد ..

ـ « جاء الوقت لأى شىء بالضبط ؟ »

ـ « لاندرى .. لكن إحراقنا أو التهامنا أو تمزيقنا أمور واردة جدًا .. لا أحد يغادر الحياة حيًا .. »

ـ « وهل تأكلون أو تشربون هنا ؟ »

ـ « لا أحد يأكل أو يشرب فى جانب النجوم .. الحقيقة هى أن جسدك الموجود هنا ليس جسدك بالضبط .. إنه انعكاسه .. إن الأمر شبيه بالموت ، لكنك لم تمت بعد وليتك فعلت ! »

جلست على الأرض التى لا أراها ، وسألت :

- « لا يبدو عليكم الخوف .. »

- « كنا خائفين .. لكن أن تخــاف كل ثانية فى كل ساعة فى كل يوم فى كل عام فى كل قرن من حياتك .. هذا أمر يفوق احتمال الفانين .. سرعان مـا تتعلـم أن تكف عن الذعر والأمل .. »

وقال العجوز :

- كل منـا قــارف عمـلاً شـنيعًا .. ولعل هــذا هـو عقابنـا .. »

- « لكن هذه ليست جهنم يا والدى .. الخطاة يذهبون إلى جهنم لا إلى جانب نجومكم هذا .. »

- « ربما لم نعاقب بجانب النجوم بسبب خطايانـا .. لكن خطايانا قادتنا إلى جانب النجوم .. »

وفى سرى قلت لنفسى إن هذه القاعدة خاطئة .. أنـا لم أفعل شيئًا - أو هكذا أعتقد - وبرغم هذا جئت هنا ..

ـ « مازلت لا أفهم .. هلا أوضحت كلامك قليلاً ؟ »

قال بصوت هادئ وهو ينظر إلى سقف لانراه :

ـ « ستفهم حالاً حين يأتى السادة .. »

* * *

وبدأ السادة الذين تحدث عنهم يأتون من مكان ما ..

لم أتصور ما أراه ، ولا يستطيع أى خيال أن يرسم صورة هؤلاء القادمين .. ربما رأيت أشياء مماثلة فى أفلام المسوخ ، لكن هذا يقرب لك الصورة ولا يفى بها ..

أغرب مجموعة من العمالقة يمكن أن تتخيلها .. ليسوا عمالقة من طراز (كينج كونج) ، لكن ارتفاع أغلبهم حوالى أربعة أمتار .. وهى ضخامة مفزعة لأنها ممكنة .. والوجوه تتباين بين من لا وجه له على الإطلاق ، ومن لا رأس له على الإطلاق ، ومن يشبه وجهه أخطبوطًا كاملاً بأرجله الثمانية ، ومن له عين واحدة تنزف الدم بلا انقطاع ..

بعضهم كان لرأسه جزء خلفى طويل يتدلى على الأرض كذيل التمساح ، وبعضهم كانت أوردته تزحف كالأفاعى حوله باحثة عن قنص ما .. وبعضهم كان له ست أذرع ، وبعضهم كان بذراع واحدة فى منتصف صدره .. وبعضهم كان له مكان الصدر رأس أسد يزأر بلا انقطاع .. أحدهم كان لطيف المنظر رقيقًا ، لهذا كان جذعه كله عبارة عن رءوس متلاحمة تتلوى ألما ..

لكنهم جميعًا كانوا يلبسون ما يذكرك بإقطاعيي القرون الوسطى ، وكانوا مدججين بالسلاح - لا أدرى ما قيمة السلاح مع غيلان كهذه - وكانوا جميعًا يمشون على قدمين مثلنا ..

الخلاصة .. أنت لن تتخيل المشهد .. وأنا كذلك لم أتخيله ، وقد فتحت عينىّ على اتساعهما لكنى لم أستطع أن أستوعب كل هذا الهول .. لهذا ببساطة قلت لنفسى : إنه كابوس وكل شىء ممكن فى الكوابيس .. لكنها كانت أفظع مجموعة من العاهات يمكن أن تراها فى حياتك ، وقد كدت أختنق من رائحة الكبريت والعطن المنتشرة فى كل صوب ..

ورفع أحدهم رأسه للسقف وعوى ، فارتجت قلوبنا فى الصدور ..

ورأيت هؤلاء القوم يجلسون إلى مائدة طويلة تشبه حرف U اللاتينى - لا أدرى متى وكيف ظهرت - بحيث وجدنا أنفسنا فى الجزء المفتوح من الحرف .. الأمر يشبه المحاكمة فعلاً .. لا جدال فى هذا ..

وفى سقف القاعة التى ليست قاعة راحت كائنات مجنحة ضخمة تحلق كأنما تمنحنا السلام ! كائنات لا أجد وصفًا لها إلا (الهاربى) فى الأساطير الإغريقية : الطيور التى لها رءوس بشر ..

ودوى صوت ذهنى خشن من مكان ما يقول :

-« أيها الفانون .. احتشدوا تحية لسادة جانب النجوم .. »

واقفين فى المنتصف .. ضئيلين جدًّا .. هشين جدًّا .. خائفين جدًّا .. رحنا نستمع إلى الأسماء التى تجمد الدماء فى العروق ..

-« (سيجفريد الأميدى) .. حارق الأراضى ومجفف الأنهار .. »

زام الأخ (سيجفريد) وراح دخان أسود كثيف يتصاعد منه ، الأمر الذى جعلنى أخمن أن هذه علامة على الرضا عندهم .. أو ربما الخجل ، كما تحمر أذناك حين يطريك أحدهم أكثر من اللازم ..

-« (يوليان المغتصب) .. هادم القصور وذابح الأسرى والأطفال .. »

ومن جديد زأر الأسد الذى يخرج من صدر الرجل ، وراحت العيون الجاحظة المتناثرة على ثيابه ترمش بلا انقطاع .. أما هو فكان بلا رأس لهذا لم أر ملامح وجهه .. أنتم تفهمون هذه الأمور طبعًا ..

-« (نيفار الأشورى) .. الذى تتشاءم من اسمه أشباح الليل ، وتنفتح المقابر .. »

يا لها من ألقاب .. واضح أن كلاً من هؤلاء تعب كثيرًا جدًا حتى استحق لقبه هذا ، وهو فخور به كما تفخر أنت بلقب الطالب المثالى الذى نلته فى أيام الدراسة بالكلية ..

كان (نيفار) هذا هو الأخ الذى يحمل فى مؤخرة رأسه ذيل تمساح هائل .. وقد راح الذيل يضرب يمينًا ويسارًا ، بينما الرجل يعوى كالذئاب بلا انقطاع ..

هذه هى النهاية ! لقد انتهى أمرى .. لو كان هذا حقيقة مادية فأنا قد انتهيت ، ولو كانت هلوسة فأنا لن أسترد عقلى ثانية .. لا توجد عقارات ولا صدمات كهربية تقدر على إعادة عقل كهذا إلى حالته الطبيعية .. لابد أن كل هذا وهم ، وأنا الآن فى مستشفى الأمراض العقلية والكسرولة على رأسى ، والممرضون يحيطون بى ، بينما أنا لا أكف عن العواء مثل الأخ (نيفار الأشورى) هذا ..

لكن جزءًا من عقلى ظل يقول إننى لم أجن ..

يقول إن هذا حقيقى .. وإننى ما زلت محتفظًا بقدرتى على الملاحظة والاستنتاج .. لقد لاحظت لحية (نيفار) العملاقة المجدولة وفهمت من هذا السبب الذى جعلهم يلقبونه بالأشورى .. لاحظت الألقاب التى يستعملونها وفهمت أنها شبيهة بألقاب فرسان القرون الوسطى ..

- « (فلاد الوالاشى) .. هو الذى يمشى فى الظلام .. والنائم الأبدى فى تابوت .. »

هنا اقشعر جلدى .. حتى أنت هنا ؟ إنها لمناسبة باسمة إذن ..

كان أقل فظاظة من الآخرين إلى حد ما .. على الأقل كان له مظهر آدمى نوعًا .. لكن عينيه كانتا جمرتين حمراوين تلمعان فى وجه لم تبق منه رقعة جلد بلا شعر أسود كثيف .. ذكرنى شكله بالمذءوبين كما كنا نراهم فى أفلام الخمسينات المخيفة .. وعامة لم يكن يشبه الكونت (دراكيولا) الذى عرفه العالم من خلال السينما ، ولا يشبه صورة (فلاد) البشرى الباقية فى قلعته بـ (ترانسلفانيا) .. لكنى أعرف الآن أن هذا هو (دراكيولا) الحقيقى ، الذى كان دومًا ينجح فى العبور إلى عالمنا متخذًا شكلاً شبه آدمى ..

ثمة سؤال هنا .. سؤال مهم جدًّا ..

* * *

« سيبحث (فلاد الوالاشى) عن ثغرة ما يعبر من خلالها .. ولسوف ينجح حتمًا .. ويومها ستكون أنت أول رأس يقطعه .. فهو يعلم الآن أنك من أغلق بوابته ! »

د. (لوسيفر) فى (اسطورة دماء دراكيولا) صفحة 137

★ ★ ★

أنذرنى (لوسيفر) بهذا يومًا أنا لكنى لم أهتم كثيرًا .. بدا لى هذا بعيدًا جدًّا وسخيف جدًّا بمنطق (يا مين يعيش ؟) .. لكنى الآن أرى (فلاد) شخصيًّا أمامى ، فهل يعرف من أنا ؟ هل يذكرنى ؟

حتى لو كان اسمى لم يذكر ، فمن الوارد أن هذا العالم لا ينتظر البطاقات الشخصية كى يعرف من أنت .. ربما هو يقرأ أفكارى الآن فهل عرفنى ؟ ولو كان عرفنى لماذا لم يطير عنقى بمخالبه بعد ؟

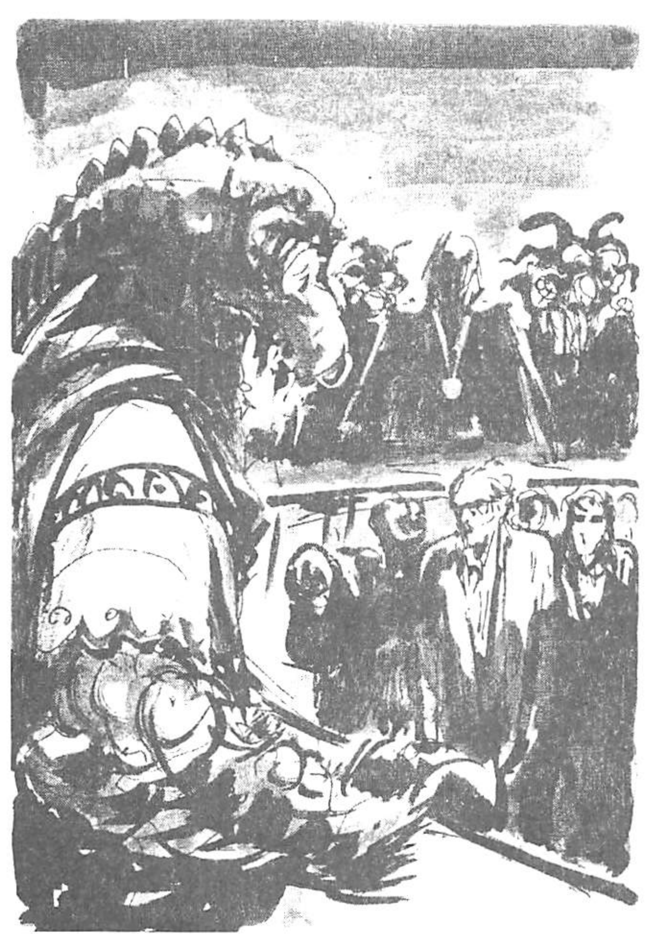
لا أعتقد أننى سأنجو من هذا الموقف بالذات .. هناك حدود للأمل البشرى يجب أن يكف المرء بعدها عن تمنى الحظ الحسن .. لقد نجوت كثيرًا جدًّا من مواقف سيئة .. هناك نقطة للتوقف بالتأكيد ..

على حين استمر الترحيب بالموجودين ..

- « (روكيان الأماسى) .. آكل قلوب الأطفال النابضة .. الوطواط الأزرق .. »

وهكذا توالت الأسماء حتى اختلطت فى ذهنى .. لكنى على الأقل أذكر أنه كان هناك نحو عشرة من هؤلاء .. يبدو لى أن (سيجفريد الأميدى) كان أهمهم وأضخمهم وأشرسهم .. كان الشر جليًّا فى كل حركة وكل كلمة من كلماته ، وأنا لم أعتد أن أقابل الشر الخام بهذا الوضوح .. نحن نلقى الشر المستتر .. الشر اللعوب .. الشر الناعم .. لكننا لا نلقى أبدًا الشر الحقيقى حين (يأخذ راحته) ولا يتهيب قوة المجتمع وتقاليده .. الشر الفظ الأولى الذى يتمدد ولا توقفه جوانب الإناء ..

لما انتهى (التمام) ، تكلم (سيجفريد الأميدى) بذلك الصوت الفكرى ، الذى يجعل مخك ذاته يغلى بالقيح وكأن شيئًا ما سيخرج من أذنيك .. شيئًا مقيتًا كريهًا مقززًا :



لما انتهى (النمام) ، تكلم (سيجفريد الأميدى) بذلك الصوت الفكرى ..

ـ « اجتمعنا نحـن سـادة جـانب النجـوم اليـوم كـى نقرر مصير الفانين الذين عبروا الثغرات إلينا .. بيننا نحن السادة خلافات وبيننا حروب .. لكننـا فـى وجـه الفانين جسد واحد يضرب لتسيل الدماء ! »

ما شاء اللّه ؟ هذه بداية الكلام فماذا عن نهايته ؟

واصل الشىء المفزع الكلام :

ـ « جاءوا هنـا لأن أقدارهـم شـاءت أن يجيئـوا .. وهم فى هذا تورطوا فى حبال الحظ العاثر ، ودنسـوا جانب النجوم الذى هو محرابنا .. وإن أبقينـا عليهـم حتى الآن فلأننا نعرف أنهم لم يأتوا إلا لحكمة .. »

هنا تدخـل (روكيـان الأماسى) والوجـوه المتناثرة على صدره وجسـده تعـوى بالصراخ ، وحـاول أحدها الفرار من مكانه فأعاده إلى مكانه بمخالبه :

ـ « أرى أيها الأميـدى أنهـم يصلحـون لـى .. لقـد تكونت خلاياى من خلاياهم ، وعظامى من عظامهم ..

فـى كـل جـزء مــن جســـدى يوجـد فـانٍ انتـهى أمره إلـى أن يكـون منـى .. فـأعطوهم لـى يـا سـادة جـانب النجوم .. »

اشتعلت النيران الزرقـاء فى رأس مـن عـرفت أنـه (هيفايستوس الجبال) وقال وهو يرتجف :

- « إنهـا الحقيقـــة إذن .. أحـدهـم منـــا وجــدير بـأن يبـقى معنـــا .. الآخـــرون لـك يـا (روكيـــان الأماسى) .. »

- « إذن هو أشرهم .. أكثرهم غلظة وأقساهم قلبًا وأوفرهم سفكًا للدماء .. »

هنا فقط تدخل الأخ (فلاد الوالاشى) ، وكنت أشعر نحوه بنوع من الألفة على الأقل لأنه أقربهم إلى الشـكل البشرى .. كما قلت هو أقرب إلى المذءوبين كما تصورهم أفلام الرعب القديمـة .. وهـو فى هذا ملك جمـال بالنسبة للآخرين ..

قال وهو يتلمظ :

ـ « إذن نختار أشرهم .. وهذا الذى نختاره سوف يغدو منا .. نمنحه القلعة والخدم والحياة ، ويغدو من سادة جانب النجوم ، ولسوف أمنحه بذرة الفامفيرى كى يعيش من شرب الدماء ، ويغدو (غير ميت) .. »

وخرج لسانه المشقوق يتلوى فى الهواء ، وعلى طرف اللسان لمحت الدودة الصغيرة .. هذه الدودة التى سأعرف يومًا ما أنها بذرة الفامفيرى ، وهى التى بدأت منها شرور مصاصى الدماء على الأرض ..

هنا قال (سيجفريد الأميدى) بصوته المخيف بطىء النبرات :

ـ « أيها الفانون .. سمعتم كلمتنا .. فليعلمن كل منكم أن منجاته فيما اقترف .. فليحك كل آثامه ولسوف نصغى ونتخذ قرارنا .. واحد منكم سينجو أما الآخرون فسوف يصيرون جزءًا من جسد

(روكيان الأماسى) .. وهى نهاية أفضل منها الموت بأنياب ألف ذئب .. »

قلت لنفسى : إننى نجوت من أسوأ مواقف حياتى ببعض اللباقة والتهذيب .. ربما استطعت أن أخرج من هذا الموقف السخيف لو كنت واضحًا صريحًا .. لهذا تقدمت إلى الأمام وقلت بتحضر :

ـ «سيدى .. أنا غير راغب فى دخول هذه المسابقة .. أعتقد أننى جئت هنا بطريق الخطـ ... »

ولم أدر متى ولا كيف طرت فى الهواء الأزرق ثم هويت على الأرض مقلوبًا وكل عظمة من عظامى مهشمة أو توشك على ذلك وسمعت صرخة غاضبة حازمة فى ذهنى :

ـ« اخرس أيها الفانى !! »

بينما كنت أنا أكمل ما قلت فى ذهنى :

ـ « .. طأ ... لم أقترف من الشر ما يبرر وجودى هنا .. وعلى كلٍ ليس البقاء حيًا بينكم بمطلب لى .. »

تقدم العجوز خطوة إلى الأمام ، وقال بلهجته الألمانية وبصوت راجف من رعب الموقف :

ـ « لو سمح لى سادة جانب النجوم .. إن اسمى (فيرنز فرايمان) .. وأنا أكثر هؤلاء الفانين شرًا ويمكننى أن أبرهن على هذا .. »

ـ « ابدأ السرد أيها الفانى .. ولتعلم أن الكذب خطيئتنا المفضلة ، لكنها لاتمنحك فرصة النجاة .. لا أحد يكذب على سادة جانب النجوم .. »

ـ « لن أكذب يا سيدى .. لن أكذب .. »

وهكذا بدأت حلقة الرعب الخامسة .. بدأت فى أغرب مكان يخطر لك ، ومع أغرب مجموعة من

المسـوخ يمكن تخيلهـا .. فمـاذا قيـل فيهـا ومـاذا حـدث ؟

أعيـرونى آذانكم الفـانيـة أيهـا الأرضـيون واسـمعوا ..

★ ★ ★

الاعتراف الأول
من شفتى (فيرنر فرايمان)
شىء من الألم

ـ ١ ـ

قال (فيرنر فرايمان) الذى عرفت أنه العجوز :

ـ « لم أرد أن أفعل ذلك .. لكنه حدث كأى شىء آخر فى حياتنا .. »

★ ★ ★

أنا جراح .. لابد أن سادة جانب النجوم عرفوا هذا وإن لم يعد بوسع أحد من الأرضيين أن يثبته .. لماذا ؟ لماذا أنكر أننى طبيب ، وأننى مارست هذه المهنة الشريفة التى يجلها الجميع ؟

السبب هو أننى كنت أعمل مع (يوسف منجيل)(*) .. وأننى كنت جراحًا فى (أوشفيتز) ..

هل فهمتم السبب الآن ؟

★ ★ ★

(★) يوسف منجيل شخصية حقيقية طبعًا ..

كنت من البداية عضوًا فى الحزب النازى .. كنت من القلائل الذين قرءوا كتاب (كفاحى) لـ (هتلر) ودرسوه بعناية فائقة .. إن النسخة التى عندى مهترئة امتلأت بالخطوط والحواشى ، وقد شربتها شربًا والتهمتها التهامًا ، وأيقنت أن الجنس الآرى يفوق الجميع ، وعليه أن يسحق الجميع من أجل رفعته وعظمته ..

ولما بدأت الحرب ، ودخلت جيوش الفوهرر (بولندا) ، لم يكن لى دور مهم فى الحرب بسبب ضعف بصرى وشيخوختى .. ولهذا التحقت بالخدمات الطبية لأننى كنت طبيبًا كما قلت ..

وتقرر أن أكون فى معتقل (أوشفيتز) فى (بولندا) ، وكان يديره فى ذلك الوقت (هيس) قبل أن يسقط - (هيس) نفسه - فى أيدى البريطانيين .. وعرفت فيما بعد أنه قضى بقية حياته فى السجن حتى مات ..

إن (أوشفيتز) هو اسم المعتقل الذى بناه (هملر) عام 1940 فى المدينة التى تحمل الاسم ذاته فى (بولندا) .. على ضفة نهر (فيستيولا) .. وكان (هملر) هو رئيس

جهازين مرعبين لم ينسهما العالم منذ الحرب : هما قوات العاصفة SS والجشتابو (البوليس السرى النازى) ..

وقد قدر لهذا الاسم ـ (أوشفيتز) ـ أن يرتبط بكل فظائع النازى .. وأن يصير كابوسًا للأوروبيين عدة عقود .. ومن المؤكد أن نحو أربعة ملايين شخص هلكوا هناك .. منهم اليهود والسوفييت والغجر ..

فيما بعد حاول اليهود أن يبتزوا أوروبا ، وادعوا أن ستة ملايين منهم ماتوا فى (أوشفيتز) وكأن النازية لم يكن لها من هدف سوى إبادة اليهود ، لكنى أؤكد لكم أن عدد السوفييت الذين هلكوا فى (أوشفيتز) يفوق بمراحل عدد اليهود .. فقط برع اليهود فى الدعاية وملئوا الدنيا بكلامهم عن المحرقة ، التى كافأهم الله بعدها بأرض إسرائيل .. بينما لعب السوفييت دور العدو التقليدى للغرب ، وكان الكلام عن معاناتهم فى الحرب جريمة أية جريمة ..

بعيدًا عن هراء اليهود المعتاد ، أقول إن السجناء كانوا يصلون إلى (أوشفيتز) بالقطار فى ثلاث مجموعات :

مجموعة تعد للإعدام فورًا فى (بيركناو) .. فيما بعد زعم اليهود أن (بيركناو) كان يحوى غرف الغاز (زيكلون ـ ب) والمحارق .. الأفران الآدمية حيث يتم إحراق 200 ألف سجين يوميًا .. وأنا لا أدرى من أين أتى هؤلاء القوم بهذه الأعداد الضخمة ..

هذا ببساطة ليس صحيحًا .. كنا نطلق الرصاص على من نعدمهم ، كما يفعل أى واحد آخر .. لم تتم تجربة (زيكلون ـ ب) فى (أوشفيتز) .. هذه حقيقة مؤكدة لكن الإعلام اليهودى لن يسمح بإذاعتها أبدًا ..

مجموعة أخرى من السجناء كانت تعمل سخرة فى مصانع (فارين) و(كروب) .. وكانت هذه عمالة رخيصة بلغت فى فترة من الفترات نصف مليون عامل لم يكلفوا الدولة سوى طعامهم القليل .. ومن الواضح أن هؤلاء أيضًا كانوا يعدمون أحيانًا أو يموتون جوعًا ..

المجموعة الثالثة وهى المهمة هنا كان يكلف برعايتها

الأطبـاء ، وكـان رئيس الأطبـاء هـو (يوسف منجيـل) وبالطبع كنت أنا أعمل معه وقتها ..

* * *

ما كان عمل الطبيب فى (أوشفيتز) هـو العـلاج ولا الشفاء .. بل كان البحث العلمى ..

وكان البحث العلمـى مـن نـوع خـاص جدًّا .. كمـا سترون بعد قليل ..

فى البداية اصطحبنى (منجيل) إلى العنابر حيث كـان هناك عدد أكثر من اللازم من الحـراس النـازيين ، وكـان رجـال العاصـفة فى كـل مكان .. وأنـا نـازى متعصـب لكنى أعترف لك أننى ما زالت أخشى رجـال العاصفـة هـؤلاء .. بتعصبهـم المجنـون وقسـوتـهم ، ونظرتـهـم إلى الغير نظرة احتقار متعال لا ينظر بها المـرء إلـى صرصور ..

رحنا نمشى بين الأسرة ، وأثـار ذهولى أن كل مريض

مكبل بأصفاد حديدية إلى سريره ، وأن فى عينيه نظرة ذعر تثير الهلع فى القلوب .. كانوا فى صحة سيئة .. الشحوب هو القاعدة ، والعيون غائرة فى محاجرها ، والجلود على العظام ..

سألته وأنا أبتلع ريقى :

ـ « ما هى مهمتنا هنا بالضبط ؟ »

قال (منجيل) وهو يربت على سلسلة فى قدم أحد المرضى :

ـ « هل تتفق معى على أن كل من ليس آريًّا هو حيوان ؟ »

هززت رأسى مقتنعًا ، فقال :

ـ « والأطباء يجرون تجاربهم على حيوانات .. من أجل المزيد من المعرفة البشرية .. »

كنت قد سمعت شيئًا كهذا فلم أندهش .. سألته فقط :

ـ « وما نوع هذه التجارب ؟ »

ـ « كل شىء وأى شىء .. كل ما كنت تتمْنى أن تجربه على بشر ولم تجسر على ذلك قط .. نحن نجرى تجارب على الجهاز العصبى والقلب والرئتين .. نملأ المثانات بالماء ونحدد درجات الألم .. نغرس إبرًا فى النخاع الشوكى ونقيس الاستجابة الكهربية .. كل شىء .. فقط يجب أن تكون خلاقًا .. »

بدا لى المستقبل بهيجًا إلى حد لا يوصف .. وهنا يجب أن أقول إنى لست ساديًا بشكل خاص .. ليس النازيون مجموعة من المرضى النفسيين كما يصورونهم .. لكن التمييز العنصرى والإحساس بالتفوق العرقى هما اسم اللعبة .. ما إن تشعر أنك خلق خاص فريد من نوعه ، حتى يصير الآخرون حشرات لا أكثر ، وتبدأ المذابح .. ما من مذبحة شهيرة يمكن أن تقرأ عنها فى كتب التاريخ إلا ووراءها تمييز عنصرى ما .. من دون تمييز عنصرى يمكنك أن تنظر

للآخرين على أنهم بشر مثلك ، لهم الحق فى الحياة والأمان والسعادة ، وعندها يصعب عليك إيذاؤهم ..

أنا لست وحشًا .. أنا نازى يؤمن بنازيته .. لا أكثر ولا أقل ..

وهكذا عكفت على كتب الفسيولوجيا التى وضع الألمان أكثر دقائقها ، ورحت أبحث عن شىء يصلح لتجربته .. بينما كنت أنهمك طيلة اليوم فى التجارب التى يجريها فريق (منجيل) على التوائم ..

كانوا يحبسون التوءمين - وهما من السوفييت غالبًا - منفصلين عن بعضهما .. ويبدءون فى تعذيب واحد منهما مع ملاحظة ردود فعل الآخر .. وكانت النتيجة باهرة دائمًا .. هناك خيط لاشعورى يربط بين الجهازين العصبيين للتوءمين فقط إذا تجاوز الألم حدوده .. أما الألم العادى المحتمل مثل وخز الإبرة فكان يمر مر الكرام ..

كانت هناك كذلك وحدة مختصة (بعلاج) الحوامل .. كنا نقسم الحوامل إلى عدة مجموعات نعطى كل مجموعة منها عقارًا بعينه .. وبجرعات محسوبة ، وفى النهاية نراقب ما تنجبه ونحدد بالضبط الناتج .. وهكذا استطعنا أن نحدد أكثر العقارات خطرًا كى تتلافاها المرأة الآرية فى أثناء حملها .. وما كان أحدنا ليسمح بأن يخرج إلى الوجود طفل آرى مشوه ..

هكذا ترون أننا كنا نوفر الكثير من الوقت ، ولانضيعه مع الفئران والأرانب كما يفعل العلماء الإنجليز والبريطانيون .. وفى كل مرة يقولون فى نشرات الدواء إنهم جربوا الدواء على الفئران ، لكنهم لايضمنون نتائجه مع الحوامل والمرضعات ..

نحن كنا نعرف .. ونعرف بالتأكيد ..

وكنت فى هذه الأثناء أواصل أبحاثى .. أبحث عن بحث جديد كما يقولون !

وفى يوم وجدت شيئًا يصلح كى أجربه ..

لكنى - برغم أننى لا أعبأ بهذه الأمور - شعرت بالهلع مما توصلت إليه ..

كانت فكرة رهيبة بحق لا تخطر إلا ببال شيطان ..

* * *

-٢-

كنت قد قرأت عن تجارب العلماء الفرنسيين أثناء الثورة الفرنسية ، حين كانت المقصلة تقدم الرءوس بلا عدد .. كانوا يوصلون الرأس المقطوع بمجموعة من الأنابيب تمنحه دورة دموية صناعية ، وكان - كما قيل - الرأس يتحرك ، ويحاول الكلام ، وتتحرك عيناه لمدة ساعات بعد الإعدام ..

وكنت جراحًا أملك الموهبة ، ولى إلمام لا بأس به بتشريح الرأس .. إن هناك بعض المشاكل مع الأوعية لكن هذه يمكن إزالتها ، خاصة وأن لدى المجال الكافى للتجارب ..

وعرضت على أستاذى المجنون بروتوكول الدراسة فأقرها .. كانت المشكلة هى أننا سنحتاج إلى إعدام بعض الأسرى ، لكن هذه لم تكن مشكلة على الإطلاق فى (أوشفيتز) ..

وفى اليوم الموعود كنت أرتجف حماسة ، بينما اقتاد الجنود رجلين إلى الأرض الخلاء خلف المعسكر .. الأرض التى علقت عليها لافتة بالألمانية تقول : «فقط العمل يجعل الإنسان حرًّا ! » .. وكانت تتناقض بشكل مضحك مع حقيقة ما يحدث هنا .. وسألت أستاذى للمرة الأخيرة :

- « هل أنت متأكد من أن الهر (هملر) سيوافق على ..... ؟ »

قال فى استهتار وهو يهز كتفيه :

- « لا مشاكل هنالك .. إن لدى تفويضًا كاملاً بعمل ما يروق لى ، ما دمت سأقدم بهذا تقريرًا طبيًّا وافيًا .. »

ودخلت غرفة الجراحة مع اثنين من الأطباء ، وشرعنا نتأهب للتعقيم ، بينما جاءوا بسجين سوفييتى لا يكف عن الصراخ والاستغاثة .. قيدوه على المنضدة بينما شرع طبيب التخدير يعد عقاقيره ..

كان السجين يفهم بعض الألمانية ، وقد قال لى :

ـ « أتوسل إليكم أن ترمونــى بالرصـاص ! لا أريـد أن أكون حيوان تجارب لكم ! »

قلت له فى برود وأنا ألبس القفازين :

ـ « هل تعرف ما نحن بصدده ؟ »

ـ « أعرف أنكم مجانين !! وهذا كاف .. »

لم أحفل بالرد عليه ، وأشرت إلى طبيب التخدير كى يحقنه بالمنوم ، وسرعان ما غرق الرجل فى سبات عميق ..

وعاد الحراس من الخارج مسرعين يحملون الرأس الذى قطعوه ، مغموسًا فى محلول ملحى طبيعى .. كان رأسًا أسمر له شارب كث يبدو أنه لسجين غجرى ..

وعلى الفور رحت أشق الأنسجة بمبضعى ، وأظهرت الشرايين والأوردة الحيوية فى هذا القطاع ، ثم ببراعة رحت أجرى الخياطات اللازمة ..

وقال طبيب التخدير وعيناه على البالون الأسود الكبير :

ـ « حذار ! إن ضغطه ينخفض بسرعة .. »

ـ « إذن احرص على ألا يحدث هذا .. »

وواصلت العمل كالمجنون .. لكن كان لا بد من أن تمر ثلاث ساعات من الجهد المتواصل .. وفى النهاية تراجعت للوراء ومسحت العرق عن جبهتى ، وأمرت مساعدى الشاب أن يقطب الجروح فى الجلد ، وعدت أنظر لطبيب التخدير :

ـ « كيف الحال ؟ »

ـ « مات طبعًا .. كلاهما مات ! »

نظرت لمساعدى وللمريض ولطبيب التخدير ، ثم أصابنى هياج بالغ جعلنى أركل حامل المحلول فأسقطه أرضًا .. كل هذا الجهد بلا طائل ! أى ظلم !

سمع (منجيل) صياحى من الخارج ، فجاء إلى الداخل وربت على كتفى مواسيًا ، وقال :

ـ « لا تتهور ! ما زالت أمامك فرص للنجاح ..

لا أحد ينجح من أول مرة إلا الحمقى الذين يرفق بهم الحظ ! ستنجح يا (فرايمان) .. ستنجح ! »

ثم أشار إلى أحد الحراس :

ـ « خذوا الجثتين إلى الفرن الكبير ، وتيقن من حرقهما بعناية .. وتيقن كذلك من أنه لا شهود عليك ! »

لم أر داعيًا لهذا الحرص ، لكن الرجل كان حذرًا وكان يتحسب برغم كل شىء لخطر أن يربح الحلفاء الحرب .. إن قتل الأسرى ليست تهمة محببة للنفس وقتها .. وكانت هذه عامة سياسته مع كل موضوعات التجارب .. الفاشلة منها والناجحة .. إن فشل التجارب يعنى وجود جثث .. ونجاحها يعنى وجود شهود !

وفى الحالتين تصلح النار لإخفاء كل شىء !

* * *

وكررنا العملية أكثر من مرة فى الأسابيع التالية .. كان الفشل يلاحقنى بإصرار غريب .. وإن كنت فى سرٍ أعترف أن هؤلاء الذين هلكوا كانوا مجدودى الحظ حقًا ..

وجاءت التجربة السادسة .. هذه المرة كانت الضحية امرأة غجرية ، وكان الرأس رأس تاجر يهودى ضئيل الجسد .. وقد استمرت الجراحة ساعتين ، لأن خبرتى بها كانت عظيمة ، وانتهيت فألقيت القفازين ونظرت إلى طبيب التخدير منتظرًا إعلان الوفاة كالعادة ، لكنه قال فى دهشة :

ـ « العلامات الحيوية ممتازة ! يبدو أنهما سينجوان ! »

وكان هذا غريبًا .. لقد اعتدت الفشل حتى صار للنجاح مذاق غريب شاذ كأنه نور المصباح لعينين اعتادتا الظلام دهورًا ..

وفى المساء ذهبت لزيارة (مريضتى) فوجدتها على ما يرام ..

لقد قمت ـ أنا (فرنر فرايمان) العظيم ـ بزرع رأس رجل فى عنق امرأة .. وكلاهما يعمل بمرىء واحد وقصبة هوائية واحدة ودورة دموية واحدة .. طبعًا ما زالت

الجراحة حرجة ، ومازالت المرأة عاجزة عن البلع وتتنفس بصعوبة بالغة ، لكنى رحت آمل أن يلتئم الجرح مع الأيام القادمة ..

وكانت الأيام التالية بالفعل تفوق أكثر أحلامى جموحًا ..

لقد بدأت الجراح تشفى .. وتوافد القوم ليروا هذه المعجزة ، والتقطنا الكثير من الصور .. بينما المرأة المسكينة لاتصدق ولاتفهم ، ورأس اليهودى المتدلى على كتفيها ينظر لنا فى حيرة وغباء ..

هذه الجراحة نجحت من قبل مع الكلاب ، لكنها المرة الأولى التى تجرى فيها وتنجح مع البشر .

كان المشهد مريعًا لكنى كنت فخورًا به .. وكنت أطرب حين يأكل كلاهما من طبق واحد .. أو يتبادلان بعض العبارات بلغة (اليديش) التى يتكلمها اليهود .. لقد ارتبط مصيرهما للأبد ، وهو نوع غريب حقًا من الزواج ..

كانت المرأة تردد عبارات بلغتها الغجرية كلما رأتنى ، ولم أفهم ما تقول لكنى أدركت أنه نوع من السباب .. أما الرجل فكان يبكى كثيرًا جدًا .. وقد اعتاد أن ينام على كتفها لأن وضعه الجانبى لا يسمح له بأى وضع آخر ، وأعتقد أنها كانت تشفق عليه لأنها كانت تضع كوب الماء أمام شفتيه ، وتطعمه من حين لآخر .. إنه تحت رحمتها لأنه بلاجسد على الإطلاق .. وأعتقد كذلك أنها كانت تخشى أن يموت .. لا أحد يحب أن يموت جزء من جسده الخاص .. ولو حدث هذا لتصرفنا كما يتصرف الجراح عند حدوث غنغرينا فى الجسد .. كنا سنستأصل الرأس كى تعيش المرأة .. لكن أحسبنا ما كنا لنتجشم هذه المشقة ..

إن أهمية هذين لاتخرج عن كونهما أعجوبة .. وصاحب السيرك لايترك سبيلاً للعناية بنمانجه النادرة لأنها مصدر فخره .. كنت أمضى الساعات أراقبهما وأدرس سلوكهما ، وألتقط عشرات الصور ..

كنت أنا الآن النجم المتوج وسط أطباء (أوشفيتز) ،



وقد اعتاد أن ينام على كتفَها لأن وضعه الجانبى لا يسمح له بأى وضع آخر ..

وجـاءتنى تـهنئـة موقعـة مـن (همـلر) ملأتنـى فخـرًا وتيهًـا ، وقـررت أن أجـرى هـذه التجـربة على نطاق أوسع .. لربما تمكنت بشىء من البراعة والحظ مـن زرع ثلاث رءوس أو أكثر .. لِمَ لا ؟

وهكذا اجتمعنا فى مكتـب المديـر ، وطرحـت عليـه اقتراحـاتى ، بينما دارت الأنخاب وغنينا (ألمانيا فـوق الجميع) ، لكن (منجيل) انتحى بى جانبًا وقال لى :

- « لا أريد أن أثير توترك .. لكنى أريد أن تحـرق كل شىء يختص بهذه التجربة .. »

صحت محتجًا :

- « أوه .. لن نعود إلى هذا .. »

- « الأمر لا مزاح فيه .. إن السوفييت قادمون .. ومن الواضح أن بولندا ستطير من قبضة الرايخ !! »

كان هذا أسوأ خبر سمعته فى حياتى ..

معنى هذا ببساطة أن كل ما قمت به هنا سيضيع ..

ـ «بل أسوأ من هذا .. » ـ قال (منجيل) ـ «لسوف يعاملوننا كمجرمى حرب يوم نقع فى أيديهم .. »

ـ « نحن لسنا مجرمى حرب .. نحن علماء ! »

ـ « قل لهم هذا وهم يستخرجون بقايا مواطنيهم من حفر الموت الجماعى .. »

اعتصرت كأسى فى عصبية ، وقلت :

ـ « والعمل ؟ هل لديك خطة محددة ؟ »

ـ « لقد أعددت العدة للفرار .. »

قالها وابتعد مما قضى على أى اعتقاد ساذج لدى أنه يلهو بى ..

ووجدت نفسى فى مأزق .. لو جاء السوفييت ووجدوا هذا المسخ الذى أنتجته تجاربى فما المصير ؟ لن يكون أقل سوءًا من مصير هذا المسخ .. وفى اليومين التاليين أدركت أن (أوشفيتز) بالفعل يشهد عملية إخلاء واسعة النطاق ، وتم تحميل آلاف الأسرى إلى القطارات متجهين إلى ألمانيا ذاتها ..

طبعًا فى ظروف كهذه بدا أن الجميع لا يعبأ بـى .. فلينج كل بنفسه .. وليتحمل كل مسئولياته الخاصـة ، وعرفت أن الوقت قد حان حين تبخر (منجيل) نفسـه فى الصباح ، ولم يعرف أحد إلى أين ذهب ..

هكذا اتخذت قرارى ..

هكذا اتجهت إلــى غرفتــى فحرقــت كــل أوراقــى والصور ..

بقى شىء واحد فقط علىّ أن أتخلص من آثاره ..

بحثت عن الكيروسين ، ووجدت عود ثقاب مسـتعدًّا للعمل ، واتجهت أنا واثنان مـن رجـال العاصفـة إلـى العنبر الخاص الذى احتفظنا فيه بالمسخ إياه ..

بعد دقائق كانت السنة اللهب تتعـالى ، وكـان الدخـان الأسود يتصـاعد إلى عنـان السـماء ، وكنـت أنا فـى طريقى للهرب ..

★ ★ ★

ما إن انطلقت بسيارتى الجيب مبتعدًا عن المعسكر حتى راحت الطلقات تنهمر على السيارة .. حقًا لم أدرك من قبل كم أن السوفييت قريبون .. ولم أدرك من قبل كم هم بارعون فى التصويب ..

كنت أنزف من ساقى .. ثمة طلقة اخترقت السيارة وإن كنت لم أدر متى اخترقتها ..

لن أتمكن من الابتعاد .. إن حالة ساقى لن تسمح لى بالقيادة أكثر من هذا ..

أوقفت السيارة على جانب الطريق ، ورحت أنظر حولى .. كان النهر يترقرق من بعيد ، وخلفى رأيت محجرًا مهجورًا يبدو أن عمالنا كانوا يعملون فيه منذ أيام .. حقًا لم يستغرق الأمر أكثر من أيام ..

قررت أن أتوارى هنا بعض الوقت إلى أن أجد إحدى سياراتنا الفارة من زحف السوفييت ..

توغلت فى المدخل ، وتركت نفسى أنزلق على الصخور الحادة التى تلوثت بالكثير جدًا من دمى ..

وفى النهاية هأنذا أرقد على أرضية المحجر كاتمًا أنفاسى ، وفى يدى المسدس بانتظار أول قادم .. لن أطلق عليه الرصاص لأن ذخيرتى لن تكفى .. ستكون الرصاصة من نصيبى أنا ولن ينالونى حيًّا ..

كان دمى ينزف بعنف .. ولم أفهم أن هذا المحجر المهجور لم يكن سوى ثغرة .. الثغرة الوحيدة فى بولندا ربما .. وقد دخلتها ونزفت دمى فيها لأننى المختار .. لابد من حكمة لهذه المصادفة .. إن قدمىّ وحدهما لم تجلبانى هنا ، بل كانت قوى أكبر منى وأعسر على فهمى ..

ولم أدر متى غبت عن الوعى أم ترانى نمت ؟

* * *

فقط حين أفقت من نومى أم من إغماءتى وجدت نفسى هنا .. فى جانب النجوم ..

أقف أمام السادة وأعترف : ما كانت الأرض لتعرف أشر منى فى أعوامها الطويلة المفعمة بالشقاء والفظائع ..

* * *

فرغ النازى العجوز من سرد قصته ، ووقف ينتظر رأى الوحوش الجالسة من حولنا ..

كان الدخان الأسود يتصاعد من أكثرهم ، وهى ـ كما تعلمت ـ علامة على الرضا ، وكان هناك واحد من الطراز الذى بلا عينين على الإطلاق ، لكنّ له مخًا أخطبوطيًا لزجًا يتسرب على جوانب وجهه من حين لآخر ، كى يلمع فى جشع ، ويبدو أن هذه كانت طريقته فى النظر إلى ما حوله .. كان اسم هذا الشىء (داركون الجيلى) نسبة ـ فيما يبدو إلى أسكتلندا ، وليس إلى الجيللى إن كان شىء كهذا قد خطر لكم ..

قال (دراكون) وهو يهتز :

ـ « بدا لى أنه ما من قصة قد تفوق هذه .. إن الأرضى منا ، ومكانه الحق بيننا .. »

قال (سيجفريد الأميدى) :

ـ « كان ليبلغ مرتبة الكمال ، لكنه ما زال عنها قصيًا .. اختار الطب مهنة .. وهو فى هذا أراد يومًا

أن يداوى الفانين مثله .. وكان بوسعه أن يعذبهم أكثر ولكنه لم يفعل .. أرى يا إخوان أن نستمع لقصة الثانى من الفانين .. »

هنا بدا على الألمانى الغباء ممزوجًا بخيبة الأمل ، وتلفت حوله صائحًا :

ـ « إذن أنا خسرت ؟ كيف أخسر ؟ مستحيل أن أخسر ! »

قلت له فى ضيق (فأنا أكره الغباء حتى هنا) :

ـ « لم تخسر يا دكتور .. ما زال عليك الانتظار حتى تسمع بقية القصص .. وإن كنت أشك فى أن يوجد من يتفوق عليك .. لو كنت مكانهم لجعلتك تربح وانتهينا .. »

هناك أناس مستعدون لأى شىء كى يبقوا أحياء ، حتى لو كانت الحياة كمسخ وسط هؤلاء المسوخ .. أية حياة هذه ؟ إن الموت أفضل بكثير ، لكن هل يسمحون لى بخدمة بسيطة كهذه ؟

هنا تقدم أحد الشابين ـ الأصغر سنًّا ـ إلى الأمام وقال بلهجة من يريد إنهاء الأمر سريعًا :

ـ « أنا (جون بارتريدج) يا سادة .. من إنجلترا .. هل لى أن أحكى قصتى ؟ »

قال (سيجفريد الأميدى) بصوته الجشع :

ـ « ابدأ السرد أيها الفانى .. ولتعلم أن الكذب خطيئتنا المفضلة ، لكنها لا تمنحك فرصة النجاة .. لا أحد يكذب على سادة جانب النجوم .. »

ـ « لن أكذب يا سيدى .. لن أكذب .. »

وبدأ الإنجليزى يحكى قصته ..

* * *

الاعتراف الثانى

من شفتى (جون بارتريدج)

ابتعدوا عن البئر

-١-

« ابتعدوا عن البئر الجافة .. »

كانت هذه هى العبارة التى قلما لم يسمعها طفل فى قريتنا .. كانت قرية صغيرة منسية فى شمال البلاد ، وبالتأكيد لم يأت منها رجل شهير أو ناجح إلى حد تخليد اسمها ..

كنا أطفالاً شياطين لانترك حجرًا إلا قلبناه ، ولاقطًّا إلا شددنا ذيله ، ولانافذة إلا كسرناها بحجر ..

كنا فى كل مكان .. الإزعاج الدائم للجميع ، والتعبير الصادق عن مقولة : إن الأطفال لانفع منهم على الإطلاق إلا التدمير .. لكننا برغم هذا لم نجسر قط على الدنو من البئر ..

لقد اكتسب من كلمات آبائنا معنى مخيفًا مجسدًا لايمكن تجاهله حتى لأكثرنا تمردًا وثورية ..

وفى طفولتنا جرؤ أحمق واحد على خرق هذه

القواعد .. كان صبيًا نسيت اسمه الآن ، لكن وجهه كان مليئًا بالنمش ، وكان له أنف يسيل دائمًا .. هذا ما أذكره عنه ، ولاتنس أن هذا الكلام كان منذ عشرين عامًا تقريبًا ..

نعرف فقط أنه راح يلعب عند البئر .. نعرف فقط أننا تركناه هناك لأن الليل قد جاء ، ولأننا كنا خائفين .. ولأنه لم يصغ لنا حين طلبنا منه الابتعاد ..

وفى الثامنة مساءً دوت صرخة هائلة من الطراز الذى يجمد الدم فى عروقك ، ويجعلك غير قادر على الوقوف .. لابد من أن تجلس .. وقد جلسنا .. وعرفنا على الفور أنها صرخته ..

ماذا دهاه ؟ لانعرف ..

وعرفنا فى الصباح أن بعض الرجال حملوا كشافاتهم ومصابيحهم وذهبوا إلى مصدر الصرخة .. وكان البئر كما هو لكنه لم يعد جافًا .. عرفنا فيما بعد أن الدماء كانت تملؤه .. دماء لايمكن لإنسان مهما بلغ حجمه

أن يأتى بكمية هائلة مثلها ، إلى درجة أن يملأ بئرًا ..

قال الرجال العالمون ببواطن الأمور إن صديقنا خالف تعليماتهم .. قالوا إنه راح يلعب عند ثغر الشياطين .. والكلمة مستحدثة لم يطلقوها على البئر من قبل .. لكنها صارت اسمًا مناسبًا جدًّا من حينها ..

وأخبرتنا الجدات جوار المدفأة ليلاً أن البئر ـ أو ثغر الشياطين ـ هو بوابة .. بوابة غريبة الشأن حقًّا تقود إلى عالم غريب شرير .. وأحيانًا ينجح أحد الكائنات الغريبة الشيطانية فى عبور هذه البوابة ويصل إلى عالمنا .. وعندها تبدأ الأهوال ..

ـ « ولماذا لاتسدون هذه الثغرة ؟ »

ـ « لأن من يجسر على هذا يلق نهايته فورًا .. إن لدينا قصصًا شنيعة لكنها لاتصلح للأطفال .. »

وكنا نصمت .. نتخيل .. ننام .. ننسى ..

* * *

صرت مرهقًا ..

لم تكن مراهقة هادئة تلك التى عشتها فأنتم لم تلاحظوا أن فى ساقى عرجًا .. عرجًا خفيفًا .. ثمة ساق أطول بضعة ملليمترات من الأخرى .. لكن هذا بالنسبة للمراهقين مصدر تعذيب دائم لهم ..

إنها سن وساوس الرجولة ، والحاجة إلى أن تكون أقوى .. سن مصارعات الشباب على الكلأ ومسابقات العدو فى الغابة .. من الجلى هنا أننى لم أفز قط بمسابقة من هذه المسابقات ..

إنها سن الميل إلى الفتيات ومحاولة الفوز بما تعتقد أنه حقك المشروع فى الحب .. لكن من الجلى أن أية فتاة لم تهتم بى ، حتى بين فتيات القرية غير المعروفات بالجمال ..

إنها سن أن تكون مفيدًا .. تحاول أن تعمل وتساعد الآخرين .. لكننى لم أستطع قط أن أساعد أحدًا .. كنت بحاجة دومًا إلى من يساعدنى ..

وجاء اليوم الذى اصطدمت فيه بـ (جيمى الخطاف) ، وهو بلطجى صغير من بلطجية القرية الساديين ، الذين يكرهون أن يمر يوم من دون تعذيبى أو مضايقتى .. وقد آذيته جيدًا .. آذيته بقوة وخمشت وجهه وعضضته .. لكنه فى النهاية لقننى علقة ساخنة ودرسًا قاسيًا ، خاصة أن العض والخمش جعلاه أكثر عصبية وتوحشًا ..

وفى النهاية رحت أركض على ساقى السليمة ، محاولاً الفرار منه ومن عصابته ..

خرجت من القرية .. كانوا خلفى ..

ركضت عبر الطريق الترابى الذى يقود إلى المزرعة المهجورة .. كانوا خلفى ..

فى النهاية وصلت إلى البئر الجافة ، وكان الظلام قد حل ..

وأدركت أنهم لن يفكروا أننى هنا .. فقط علىّ أن أنتظر وقتًا أطول ، وسرعان مايعودون أدراجهم ..

* * *

مر الوقت .. الظلام والبرد والخوف ..

لكنى لم أكن خائفًا من البئر ولا ما فيه من كائنات عجيبة لو وجدت .. إن الشر أكثر هولاً وأشد خطرًا بما لا يقاس ..

ولهذا لم أخف كثيرًا حين سمعت صوت الأنين ..

كان قادمًا من البئر بلا شك .. والغريب فيه أنه لم يكن أنين إنسان على الإطلاق .. كان أنين حيوان مسعور .. كأنين ذئب جريح .. وقد قررت على الفور أنه لا يوجد سوى شىء واحد يمكن أن يصدر صوت ذئب جريح .. إنه ذئب جريح لا أكثر ولا أقل ..

ودنوت من الحافة أكثر ونظرت ..

برغم الظلام استطعت أن أميز ما يحدث هناك .. وقف شعر رأسى ..

لم تكن الجدات مخرفات بصدد البئر .. لم يكنَّ مخرفات على الإطلاق ..

* * *

- ٢ -

كان هذا الشيء يحاول الخروج من البئر ..

استطعت أن أرى عيونه الأربع النارية تتوهج في الظلام ، بينما أشياء لا أدرى ما هى تتمسك بجدران البئر من الداخل .. فهمت على الأقل أنه شىء هلامى منزلق .. وأن له أطرافًا مثل الأخطبوط ..

لا أدرى لماذا لم أجر مبتعدًا .. لقد وقفت كالمسحور أرمق ما يحدث ، وقلت لنفسى : إننى لو رحلت فلن أعرف أبدًا ما كان هذا الشىء ..

ـ « سـ .. ـا عـ ... د ... نـ ... ى ى !! »

كان هذا هو الصوت الذى خرج منه ممزوجًا بالأنين والعواء .. صوت رغوى غريب جدير بأن يصدر من كتلة الهلام هذه .. ولم أكن أعرف كيف أعين كتل الهلام ، لهذا وقفت مرتجفًا عاجزًا عن رد الفعل ..

ـ « سـ .. ـا عـ ... د ... نـ ... ى ى !! ولسوف أكسبـ ... ك .. القـ ... وة !! »

لسبب ما فهمت أنه صادق .. كائن كهذا بالتأكيد يعرف ما يتكلم عنه ..

ـ « كيف .. كيف أساعدك ؟ »

ـ « لحم آدمى ! لحم آدمى ! »

سرنى هذا .. على الأقل هو ليس الشيطان يبغى روحى .. لست متدينًا لكنى أعرف أن بيع الروح للشيطان خطيئة .. أما هذا فهو مجرد غول .. غول أحمق يبغى لحمًا ..

عرفت كذلك على الفور أنه قادم على الفور من ذلك العالم المخيف الذى تحدثت عنه الجدات .. العالم الذى تسكنه المسوخ والغيلان .. وهو جدير بحق بأن يكون منهم .. من الواضح أنه استهلك قواه فى عبور الثغرة ، ومن الواضح أنه بحاجة إلى الغذاء كى يأخذ الخطوة الأخيرة ..

قلت له وأنا أتراجع كى لا يبلغنى بممساته :

ـ « لحظة .. كيف أضمن أنك لن تبدأ بالتهامى لو ساعدتك ؟ »

عاد الصوت اللزج يتردد :

ـ « لك عهدى ى ى ى .. لك عهدى ى ى ى ! »

ـ « وماذا أعرف أنا عن عهود المسوخ مثلك ؟ »

ـ « سـ ... ـا عـ ... نـ ... ى ى !! ولسوف أكسبـ ... ك ... القـ ... وة !! »

كان الأمر مسليًا .. فهذا الكيان المخيف الذى يملأ البئر تحت رحمتى تمامًا .. وقررت أن ألعب اللعبة حتى أشعر بالخطر .. عندها سأفر وأجلب الرجال ، ولسوف نشعل نارًا فى البئر وما حولها ..

ولكن كيف أجد له لحمًا بشريًا ؟ هذه الأشياء لا تباع لدى القصاب ..

هنا جاء الجواب ..

سمعت صوت العصابة إياها يفتشون عنى فى المزرعة المهجورة ، وسمعت صوت (جيمى الخطاف) يقول لرفاقه :

- « حـل الظـلام ، وهـو لن يأتى هنـا .. إنه جبان رعديد .. »

- « لكن لا يمكن ألا يكون هنـا .. نحن لم نره يرجـع إلى القرية .. »

كان قرارى واضحًا والخطة لا ثغرات فيها ..

بحثت حولى حتى وجدت حبلاً غليظًا .. وفى الظـلام هرعت أربطه إلى جذع شجرة دانية ، ثم هرعت إلـى مكان قريب من البئر ، ووقفت هناك .. أخـذت نفسًـا عميقًا وصحت :

- « هييه ! يا (خطاف) ! تعـال واظفر بقطعة منـى لو جرؤت ! »

سمعت صوت السباب فـى الظـلام ، ثـم ظهـرت الكشافات .. وصاح (جيمى) فى رفاقه :

- « إنـه هنـا ! سيندم على أنـه لم يولد ميتًا ! »

وسمعتهم قادمون .. نظـرت إلى البئر المظلم الذى

كان الآن قطعة من السواد .. يجب أن تعمل هذه الخطة .. يجب ..

وظهر الفتيان .. كانوا خمسة ، وكانوا يحملون الكشافات ، وصاح (جيمى) حين رآنى :

ـ « أنت أيها الأعرج .. ستدفع ثمن لعبك دور الشجعان ! »

وتقدم الفتيان ..

فى اللحظة التالية جذبت الحبل الذى لم يروه فى الظلام ، وتعثر ثلاثة منهم على الأرض ، فوثبت من مكانى وهويت على رءوسهم بجذع شجرة ، وقبل أن يفهم (جيمى) ما يحدث بالضبط رفعته من قدميه وتركته ينزلق إلى البئر ..

لم يدر أحد ما حدث .. فهو لم يصرخ .. فقط تناثرت بعض قطرات الدم ، ودوى صوت كائن عملاق يتجشأ فى غلظة .. ثم عاد الصوت فى انتشاء :

ـ « **إلىّ بالمزيد !! إلىّ بالمزيد !!** »

تصلب الفتيان جميعًا وراحوا ينظرون إلى البئر فى غباء .. ثلاثة منهم على الأرض وواحد يقف مفتوح الساقين ، كأنما فيلم سينمائى تم إيقافه عند لقطة بعينها .. وصاح أحدهم :

ـ « ما هذا ؟ ما الذى يوجد هناك ؟ »

لم أترك له فرصة الفهم .. وقذفت بنفسى عليه ليسقط رأسه فى البئر ، وهذه المرة استطعت أن أرى أحد الممسات الرهيبة يمتد لينغرس فى محجرى جمجمته ، ولم يصرخ طبعًا ..

ومسحت قطرات الدم التى تناثرت على وجهى ونظرت للباقين ، لكن الغول كان قد ازداد نشاطًا وحماسة .. ومن البئر خرجت ثلاثة ممسات ـ كأنها الأفاعى ـ ليحيط كل منها بساقى واحد من هؤلاء .. وسرعان ما كانوا يجرّون إلى البئر جرًّا ، بينما هم يملئون الدنيا صراخًا .. وتناثر المزيد من الدم ..

ساد الصمت أخيرًا ..

كنت أنا الآن واقفًا أرتجف ، وقد فقدت تمامًا التحكم في ساقى اليسرى التى راحت تهتز كذيل الأفعى ذات الجرس .. وأدركت أن ما يسيل من سروالى ليس دمًا ..

كان صوت المضغ والابتلاع لا يصدق .. لا يصدق ولا يتحمل ..

وجدت الشجاعة كى أسأل سؤالاً واحدًا :

ـ « من أنت ؟ »

ـ « أنا (بيزار الأنتاسى) سيد الظلام .. الذى يأتى قبل الجموع .. »

ثم جاء الأمر الرهيب الذى كنت أتوقعه على كل حال :

ـ « ما زلت واهنًا أيها الفانى .. اذهب وآتنى بالمزيد .. ويوم أخرج من هنا سأكافئك .. »

ـ « وإن لم أجد يا سيدى (الأنتاسى) ؟ »

ـ « عندها سأجىء إليك أنا ، وستكون وجبتى .. لا أحد يفر من (بيزار الأنتاسى) .. لا أحد .. »



كنت حينئذٍ واقفًا أرتجف ، وقد فقدت تمامًا التحكم فى ساقى اليسرى التى راحت تهتز كذيل الأفعى ..

وهكذا رحت أركض كالمخبول نحـو القريـة ، وعدت لفراشى مهمومًا .. لا أدرى لماذا تذكرت موقف الصبـى الذى وجد نفسـه متورطًا مع السجين الهارب فى قصـة (ديكنز) (توقعات عظيمة) .. لكن موقـف الصبى كـان أفضل بكثير .. لم يكن مطلوبًا منه سوى سرقـة الطعـام وتقديمه للسجين .. طعام من نوعية الخـبز واللحم ، أما أنا فكان علىّ أن أقدم اللحـم البشـرى لمسـخ قـادم من الجحيم ..

وتمنيت أن أموت فلا أصحو ..

لكنى صحوت فى الصباح برغم كل شىء ، وسـمعت أن الرجال خرجوا يبحثون عن الفتيـان المختفين .. إن المراهقيـن يذهبـون لأى مكـان لأى فـترة مـن الوقـت .. ويعـودون حيـن تحسـبهم لـن يعـودوا أبـدًا .. هــذا ما قاله رجـال الشرطـة ، وهـم ينقبـون فى كل ركن مـن القرية ..

بل إنهم فحصوا البئر ! نعم فحصوه فلم يجدوا ما يريب ..

وبدأت أعتقد أننى كنت أهذى أمس لا أكثر ..

لكن جـزءًا فى عقلى قـال لى إننى محـق .. وحيـن قصدت البئر لألقى نظرة أدركت أننـى كنـت محقًـا بالفعل .. لقد كان (بيزار) يلتصق بجدران البئر وقـد تحـول إلـى مـادة لزجـة كالغـراء ، لا يراهـا كل مـن ينظر فى البئر ، لكنى رأيته ورأيت العينيـن المتقدتيـن فى الظلام ، وسمعته يقول بصوته المريع الغروى :

- « إلىّ بالمزيد أيها الفانى !! إلىّ بالمزيد !! »

والحقيقة أن شيئًا ما بدأ يطرأ علىّ فى هذا اليـوم .. لقد بدأ العرج يزول عنى ، وحيـن تأملت وجهى فـى المرآة وجدت أننى اكتسبت سحرًا خاصًّا لا شك فيـه .. السر هو النظرة .. النظرة الواثقة الهادئة فى العينيـن .. وذلك الطابع العام برجولـة رجل رأى كل شـىء وعرف الكثير ، وليست لديه أية رغبة فى الجعجعة ..

قلت لنفسى : هذا طبيعى .. ومن حقى بعد ارتكاب كل هذه الجرائم أن أكون جميلاً !

ومـن يومهـا بـدأت أمـارس دورًا غريبًـا بعـض الشىء .. كنت أقتاد رفاقى ومن هم فى سنى إلى البئر ..

نحن فى سن تحب التحدى وتعشق خرق القواعد التى استنها الكبار .. أراهن على أنك تخاف البئر الجافة يا (توماس) .. من قال هذا ؟ إذن دعنا نذهب هناك هذه الليلة ..

ويذهب معى (توماس) أو (جين) إلى البئر ، وهناك ينحنى ليلقى نظرة ، فأدفعه دفعًا ليسقط فيه .. وأغمض عينى لكنى أشعر بالدم يتناثر ، وأسمع صوت القضم والبلع والازدراد ..

مرت ثلاثة أشهر التهم فيها الوغد ثلاثة آخرين بعد وجبته الخماسية الأولى .. من الجلى أنه لايشبع أبدًا .. متى يجد القوة ليغادر البئر ؟ لن أجد طعامًا له للأبد ، ونحن فى قرية صغيرة ، ولن يمر شهر آخر إلاويتسرب الخبر الكريه : كل من اختفوا شوهدوا متجهين للبئر مع الفتى (بارتريدج) ..

لكنى كنت كذلك أخشى لحظة خروجه إلى عالمنا .. كيف يمكن إيقاف وحش كهذا ؟ وأنا ؟ هل يفى بعهده معى ؟ لو كانت الغيلان تفى بوعودها دائمًا لكان من حقى أن أطمئن !

- « إلىّ بالمزيد !! إلىّ بالمزيد !! »

وجاء اليوم المحتوم الذى لم أستطع أن أجد فيه من يخرج معى إلى البئر .. لقد ساد الذعر القرية وغدت حركتى محدودة جدًّا ، وكنت أعرف أن كل الوافدين الجدد على القرية ليسوا إلا مخبرين سريين يراقبون كل شىء ..

كان الضغط العصبى قد بلغ ذروته لدى ، حتى إننى لم أعد أهاب الموت .. لم أعد أهاب الغول فى البئر .. أريد أن أنام ملء جفونى بلا هموم تنتظرنى فى الصباح الجديد .. أنام ملء جفونى فى فراشى أو فى قبرى .. لا يهم ..

وذهبت إليه فى البئر ذات مساء ، وقلت له :

- « حان الوقت لتغادر البئر يا سيدى .. »

- « أنت لا تحدد لى متى ولا كيف أيها الفانى .. »

- « سوف يجدونك سريعًا .. »

ـ « لن يكـون هــذا خيـرًا لـهـم .. اذهـب وجئنــى بالمزيد .. »

ـ « لم يعد هذا سهلاً .. »

هنـا ارتفـع ممس مـن ممسـاتـه خـارجًا من البئــر ، وصفعنى على خدى صفعة جعلت الدماء تسيل مـدرارًا .. وبدأت القطرات تتساقط على حافة البئر ، وأنا أحـاول جاهدًا منعها بمنديلى ..

قلت له فى غيظ وأنا أتأمل المنديل الملوث :

ـ « يمكنك أن تقتلنى .. لكنى عاجز عن إيجاد ضحية أخرى .. »

ـ « أنت لم تحاول بما فيه الكفاية .. »

ـ « يمكنك أن تقتلنى .. أنا أكرر ما قلت .. لقد هددتنـى إن أنا لم أجلب لك المزيد من الضحايا أن أكون وجبتـك التاليـة .. وأعتـرف لـك أننــى سئمت كـل هـذا الذعـر والـهلع .. يمكنك أن تقتلنى الآن وسأكون لك شاكرًا .. »

دوى الصوت الغليظ من البئر :

ـ « أنا وعدتك أيها الفانى براحة الموت لو لم تحقق مطالبى ؟ »

ـ « هذا ما قلته لى .. كان وعيدًا لكنى الآن أراه وعدًا .. وعدًا بهيجًا ! »

ـ « لقد كذبت عليك !! »

ولم أدر متى ولا كيف هوى الممس على ، فوجدت نفسى أهوى إلى البئر وأنا أصرخ ..

ولم أدر كيف ولا متى غبت عن الوعى ، لكنى قلت لنفسى إن هذه هى النهاية .. لقد آن لى أن أستريح أخيرًا ..

★ ★ ★

وفتحت عينى أخيرًا لكن لأجد نفسى هنا .. أمام هذه المحكمة ..

لقد اختار لى الغول فى البئر نهاية أقسى وأبشع بكثير من الموت الفورى ..

وإننى لأعترف لكم يا سادة جانب النجوم أننى كنت أشر الأشرار ، وأسلمت أعز أصدقائى لهذا الشىء القابع فى البئر يغلى ويمور ..

* * *

لما انتهت القصة ، ساد الصمت بعض الوقت .. ثم تمطى (سيجفريد الأميدى) .

هنا رأيت ظاهرة بيولوجية غريبة بعض الشىء ، ولم تكن مما يريح النفس .. لقد خرج من صدره وهو يتمطى كيانًا هلاميًا غريبًا يذكرك بقنديل البحر ، راح يزحف مبتعدًا ، لكنه ـ (الأميدى) ـ انقض عليه ليلتهمه فى ثانية واحدة .. هؤلاء القوم إذن من الطراز الذى يلتهم أطرافه التى تقرر الفرار ..

قال بعدها بصوته الغروى الرغوى :

- « أرى أن هناك الكثير من الشر فى القصة .. لكنـه كان مرغمًا كى ينقذ حياته الخاصة .. وبرغم كل شـىء لا أجده بلغ القمة فى غيه .. »

- « مازال أمام البشر الكثـير كـى يتعلمـوه !! لكـن الأعشاب لا تغدو أشجارًا مهما تعلمت فنون النماء ! »

نظرت ونظر الجميع إلى مصدر الصوت ، فوجدنـا رجلاً فارع القامة منظره أقرب إلى البشر يتقدم وسط الفراغ الأزرق .. كل شىء فيه كان أسود .. شعره .. عيناه .. ثيـابه .. أفكاره .. قلادتـه الذهبيـة العملاقـة على صدره والخواتم الماسية فى أنامله ..

صوت البير الحنجـرى ، والنـبرات الواثقـة التـى تحمـل طابع شرق أوروبا ..

لو لم يكن الدكتور (لوسيفر) هنا فأين يكون ؟

مشى فى تؤدة إلى المنصة ، وكان صغير الحجم رقيقًا ـ ربما وسيمًا ـ بالنسبة لهذه الغيلان المخيفة ، لكن من الواضح أن تأثيره نافذ وأن له هيبة ومكانة عظيمتين هاهنا ..

التفت إلى الوراء فالتقت عينانا .. هز رأسه هزة مجاملة مهذبة ، وابتسم ابتسامة جانبية .. ومن الغريب أننى حييته كذلك بحكم العادة ، كأنه صديق لى قابلته فى القطار ..

قال وهو يفرك كفيه المغطيتين بقفازين :

ـ « ماذا أرى ؟ ماذا أرى ؟ إن لم يكن هذا هو الدكتور (إسماعيل) بشحمه ولحمه القليلين .. إنه ضيفى .. به أسعد وله قلبى يطرب .. يبدو أننا سنمرح كثيرًا هنا .. كما اعتاد السادة أن يمرحوا ! »

قلت له وأنا برغم كل شىء أشعر ببعض الألفة لوجوده على طريقة (إللى تعرفه ..) :

- « قل لى .. أين نحن وما معنى هذا كله ؟ »

- « أنت كما قيل لك بلا زيادة ولا نقصان .. أنت فى جانب النجوم .. تخاطب سادة النجوم .. وعليك أن تثبت أن لك قلبًا أشر من الشر .. إن للنجاة ثمنًا .. »

- « وماذا أتى بى هاهنا ؟ »

- « أتى بك حظك العاثر ، وأنت أدرى منا بحظك العاثر .. ربما كانت هناك مسحة إيحاء من صديق قديم .. هل تذكر العجوز الذى اصطحبته فى سيارتك ؟ ربما لم يكن عجوزًا .. ولربما كان هو الرجل .. ورهانى كان أنك من بعدى تدخل الثغرة .. ورهانى كان أنك تدمى نفسك .. ورهانى كان أنك تنام هناك .. لقد تركت لك الأفكار ، وتركتك تفعل .. »

صحت فى رعب :

- « كنت أنت مسافر الليل ؟ إذن هو كمين ! لا أكثر ولا أقل ! »

قال بصوته الببرى الذى يجعلك ترغب فى سماع المزيد منه :

ـ « بل هى دعوة إلى حفل .. وفى الحفلات نلتقى دومًا .. حفل فى (نيويورك) وحفل فى (هالماجيو) وحفل فى جانب النجوم .. د. (لوسيفر) لا ينسى أصدقاءه القدامى ، حتى وإن كان فى هذا ضعف بشرى .. أى ضعف .. »

ـ « والمطلوب منى ؟ أنت تعرف أننى لم أقترف شرًا أخطر من سرقة المربى من مطبخ خالى .. »

ضحك ضحكة عالية لكنها بلاصوت على الإطلاق ، وقال وهو يجلس فى الفراغ :

ـ « حقًا ما من بشرى يحسب أنه ليس طاهر الذيل كالأطفال .. ربما أخطأت يا دكتور (إسماعيل) ، وربما كانت خطاياك أفظع من خطايا هؤلاء .. أنت لا تعرف

نفسك .. لكن الخطأ الأول أن تقول فى تبجح الفـاتين : أنا لم أخطئ .. »

ثم تركنى أفكر فى معنى كلماته ، ووجه الكلام إلـى رفاقى فى هذه المحاكمة :

- « فليتكلم من عليه أن يتكلم .. وليصمت من عليـه أن يصمت ! »

كان من الواضح أن سلطته نافذة هنا .. كأنه مـدرب السيرك الذى يتعامل مع الوحوش التى يفوق حجمها حجمـه عدة مـرات .. وتقدمـت الفتـاة ذات اللهجـة الفرنسية ، وكانت جميلة بحق لكن من الواضح طبعًـا أنهـا لا تملـك قلـب طفـل .. فوقفـت أمـام المحكمـة ، وقالت :

- « أنـا (بياتـريس لـوبير) .. هـل لى أن أحـكى قصتى ؟ »

قال (سيجفريد الأميدى) بصوته الجشع :

ـ « ابدئى السرد أيتها الفاتية .. ولتعلمى أن الكذب خطيئتنا المفضلة ، لكنها لاتمنحك فرصة النجاة .. لا أحد يكذب على سادة جانب النجوم .. »

ـ « لن أكذب يا سيدى .. لن أكذب .. »

وبدأت تحكى قصتها ..

* * *

الاعتراف الثالث

من شفتى (بياتريس لوبير) المقصلة

ـ ١ ـ

قالت (بياتريس لوبير) :

حين يغدو الدم فى كل مكان ، لا تضير بعض قطرات أخرى !

★ ★ ★

العـام 1789 ..

(باريس) كلها تغلى بالثورة ، وبداية خيط الأحداث الدامى الذى قاد إلى إعدام الملك (لويس السادس عشر) والملكة (مارى أنطوانيت) ..

كان الغضب فى كل مكان من شوارع العاصمة المنهكة التى أدماها الفقر والحقد على النبلاء .. وكانت بذور الشر تغرس فى كل مكان ضد ملوك البوربون ، مع تهديد واضح بالانتشار فى كل بقاع أوروبا .. وكانت الثورة الفرنسية هى كابوس الملوك فى كل بقاع القارة ..

كنت أنا وقتها فتاة تبيع الزهور فى شوارع المدينة .. لم يكن هناك من يريد الزهور ، ولا أحد يملك المال الكافى

إلا للطعام .. أقل الطعام ، لكن الناس كانوا يشترون منى لأننى حسناء .. وليس بوسع الرجال أن يقاوموا شراء أى شىء تعرضه عليهم فتاة حسناء ..

كنت أبيع الخبز فى السابق ، ثم بعت اللبن بعض الوقت ، ثم جاء دور الزهور .. ولم يزدد الدخل أو ينخفض كثيرًا .. فلو أننى جبت الشوارع بحجارة لبعت منها يوميًّا ما يقيم أودى ..

حياتنا نحن الهوام لاتتغير .. فقط يدخلها بعض التشويق وبعض الإثارة من حين لآخر .

أذكر يوم هدم العامة سجن الباستيل .. كنت أرى جموعهم فى الشوارع وهم يتصايحون ويهللون ، ثم سمعت صوت الرصاص ، وبعدها دوى صوت مدفع .. نعم .. عرفت بعدها أنهم ظفروا بمدفع وهاجموا به الحامية الصغيرة التى تحرس السجن .. وكان يومًا لايمكن نسيانه .. رباه ! أشياء كهذه تجعل الحياة أكثر جاذبية وقابلية للتحمل ..

هنا يجب أن أعترف بشىء مهم ..

أنا إنسانة باردة جدًا .. لا تعترف لحظة بآلام الآخرين . لا أدرى السبب ولا متى نشأت لدى هذه الخبرة .. فقط أذكر أننى كنت منذ الصغر قادرة بلا تردد على تحطيم عنق دجاجة أو خنق قطة .. لم أكن أهتز كالفتيات الحمقاوات حين أرى شخصًا ينزف أو طفلاً يدمع ..

وحين تحمست للثورة المشتعلة فى العاصمة ، لم يكن هذا بسبب كبت طال ، أو انحياز للفقراء الذين أنا منهم ، ولكن كان هذا لأنى توقعت أن أرى المزيد من العنف والدماء من حولى ..

قاسية ؟ ربما .. لكنى أؤكد أن عواطف 60 بالمائة على الأقل من فقراء باريس كانت من هذا الطراز .. لم يكن الجميع ثوارًا وشهداء .. كان هناك عدد لا بأس به أحبوا الفرصة التى تمنحها لهم الأيام القادمة .. مزيد من التوحش والدماء وإطلاق غرائز العنف من عقالها ..

متبلدة ؟ لا .. ليس إلى هذا الحد .. لأننى كنت فى ذلك الوقت غارقة حتى الأذنين فى قصة حب ..

* * *

كان اسمه (بيير) ..

بالطبع هو وسـيم قوى .. الرجل الذى أهيم به حبًا لا بد أن يكون وسيمًا قويًا ..

كان خبازًا ، وكان قد جاء من الريف من فترة قريبة .. وقد قابلته فى المخبز ، فأهدانى رغيفًا ساخنًا وأهديته زهرة حمراء .. ومن يومها عرفنا أننا متحابان ..

كان رقيقًا .. وما زلت لا أفهم سبب هذه الرقة فى رجل يفترض منه الخشونة ، بينما أنا الأنثى قادرة تمامًا على خنق كلب صغير دون أن أهتم بذلك ..

اعتدنا اللقاء فى غابة الكرز خلف المدينة ، وتعاهدنا على أن نتزوج ، وعلى أن نكون سعيدين .. لا أدرى كيف ، لكننا صممنا على هذا .. وكانت المدينة تغلى بعنف مما أشعرنا أن كل شىء ممكن فى الأيام التالية ..

ورحنا فى استمتاع نراقب الأحداث المتصاعدة بلا هوادة ..

السلطة تفلت بالتدريج من الملك و(دانتون) و(مارا) و(روبسبير) يسيطرون على كل شىء تقريبًا ، بينما شارات الثورة مثلثة الألوان تنتشر فى كل مكان ..

وبدأ مشهد جديد مسل يستولى على ألبابنا ..

العربات التى تجرها الخيول ، يقف فى مؤخرتها النبلاء الذاهبون إلى المقصلة ، وهم يتجنبون نظراتنا فى خزى .. بينما نصطف نحن على جانبى الطريق نقذفهم بالبيض والحجارة والسباب .. أذكر فى مرة أن عربة كهذه مرت بنا ، ثم سقط من أحد النبلاء شىء ما فى الوحل .. هرعت لأرى ما هو ، فوجدتها وثيقة لم أعرف ما بها ، لكنى لمحت أسفلها توقيع الملك وخاتمه .. نظفتها ودسستها فى صدرى دون أن أعرف لماذا أفعل .. لكنها بدت لى أثرًا نفيسًا ..

كانت النساء يبكين ، والرجال يتظاهرون بالتماسك ، بينما نحن نخرج أعنف ما فى أعماقنا من مقت وحقد .. ثم نهرع إلى الميدان العام ، حيث يقف اختراع الدكتور (جيلوتين) الرهيب .. آلة الحصاد التى تم تحويلها

إلى أداة لقطع الرءوس .. وكنا نتصايح ونهلل .. بينما يتلو منفذ الحكم جرائم المحكوم عليه ..

لم نكن نصغى لهذه الجرائم .. فهى لا تضيف شيئًا إلى الحقيقة التى نعرفها جميعًا .. هذا النبيل يعدم لأنه نبيل .. لأنه ثرى ثيابه نظيفة ولم يعرف الجوع قط .. هذا سبب كاف والباقى تلفيق من (روبسبير) الجزار الذى يتفق ذوقه مع ذوقى ..

ويضع النبيل رأسه فى الفتحة ويهوى النصل الحاد ، فنهلل جميعًا .. ويرفع الجلاد الرأس أمامنا ـ والأهم ـ أمام من ينتظرون دورهم ..

قلت لكم إنها كانت من أجمل أيام حياتى ! لكن هذه اللحظات كانت فى سبيلها للنهاية .. لماذا ؟

لقد ظهرت (ميشيل) ..

* * *

ـ ٢ ـ

(ميشيل) كانت فتاة من الطراز الذى يصفه الرجال بالرقة وأصفه أنا بالموات ..

كانت صانعة كعك جاءت إلى باريس أخيرًا ، وقد عملت فى المخبز الذى يعمل به (بيير) .. وقد بدأت ألاحظ تغيرات عجيبة بعض الشىء .. فى البدء صار يلاحقها بنظراته ثم بكلماته .. بعد هذا لم يعد يلحق بى فى الغابة ، أو يلحق بى ولكن بشكل غير منتظم ..

سألته عن السبب فقال إنه مشغول ، لكنى ألححت عليه فقال :

ـ « لاشىء .. فقط أحس أحيانًا بالرعب من قسوتك .. من عدم مبالاتك بآلام الآخرين .. »

صحت فى حماسة لابد أنها جعلتنى فاتنة :

ـ « البلد كلها فى ثورة يا (بيير) .. كل شىء يغلى .. لعل هذا هو السبب الذى لم تعد تحضر معه عمليات الإعدام .. أتراك تجدها قسوة ؟ »

ـ « عمليات الإعدام قد تكون مهمة .. وقد تكون هى القانون .. لكن حضورها ليس واجبًا على .. إننى أقبلها كما يقبل المريض أن يجرع العقار المر .. لكن ليس على أن أطرب لها .. »

وابتلع ريقه وتحاشى نظراتى وأردف :

ـ « وأنت ـ كما أرى ـ تطربين أشد الطرب لها »

ـ « آه !! و(ميشيل) هى الأخرى لاتطرب لها ! »

قال فى ضيق وهو يعود لعمله :

ـ « لاتتكلمى عن (ميشيل) بسوء .. فالفتاة أطهر من طفل .. إنها فقط لاتطيق آلام الآخرين .. »

وجن جنونى فركلت العجين الذى وضعه فى إناء جوار الفرن ، وغادرت المكان وأقسمت ألا أراه ثانية ..

فى المساء أرسل لى رسالة مع غلام أجرب .. لم أكن بالطبع أعرف القراءة إن كان هو يعرف الكتابة ، وقد اتجهت إلى جارنا الذى يعمل مع الشرطة بصاصًا ..

فقرأها لى وكانت هى ذاتها كلمات (بيير) لى فى المخبز ، وإن جعلها أكثر ترتيبًا .. وقال لى جارى :

ـ « أيتها الحسناء .. هذا زمن خطر .. وكلمات كهذه ليس من المحب أن يجدها أحد معك .. أقترح أن تتخلصى من هذه الوريقة سريعًا .. »

قلت له وأنا أدسها فى صدرى :

ـ « لا تخف .. سأفعل .. »

* * *

كان اسمه (بيير) .. وكان اسمها (ميشيل) ..

وقد راح صدرى يعلو ويهبط من فرط انفعال وغيظ ، وأنا أراقبهما من وراء شجرة الصفصاف ، وقد جلسا قرب الجدول وراحا يتهامسان .. وكان يغنى لها .. وأدركت أنهما سعيدان بالبعد عن الزحام المجنون .. عن الدماء ومواكب النبلاء المتجهة إلى المقصلة وصخب الوحوش مثلى ..

وحين انتهى اللقاء واجهت (بيير) بما أعرفه .. هذه المرة لم يتحدث عن الملائكة والأطفال .. فقط أشاح بوجهه عنى وقال :

- « آسف يا (بياتريس) .. لاأحد يسيطر على قلبه .. وقد وجدت النصف الآخر منه لدى (ميشيل) .. حين أحببتك انبهرت بجمالك ونسيت أن لك روح جلاد ، بينما (ميشيل) قد لاتحمل وجهك الخلاب لكنها تحمل روح قديس .. »

انتهى الأمر .. لن أجادل كثيرًا .. أنا لن أتوسل له .. (بياتريس) لاتتوسل .. لقد فقدته وعلى أن أقبل هذا .. لكن من قال إننى سأقبله ؟ إن الحب كعصير العنب سرعان ما يتلف ويستحيل خلاً لايمكن شربه .. لقد رأيت هذا يحدث مرارًا .. أعنف الحب لايصير إلا أعنف المقت وهذه طبائع الأشياء ..

وفى المساء اتجهت إلى جارنا البصّاص وقلت له :

- « أريد أن أذهب إلى المحكمة الثورية .. لدى ما أقوله لهم .. »

كان يحب هذه الأمور ، لذا راح يتقدمنى فى الطرقات ، وصوت مركوبه الخشبى يضرب أحجار الطريق ..

هناك كان الثوار جالسين يثملون ، وعلم الجمهورية ثلاثى الألوان يتدلى فوق رءوسهم .. تقدمت من الزعيم ، وقلت له إننى أريد الإبلاغ عن (بيير لافون) الخباز ..

ـ « إنه جاسوس للملكيين .. ولدى الدليل .. »

ثم أخرجت الخطاب الذى أرسله لى (بيير) ، وكان يقول فيه بوضوح إنه لا يطيق ما صارت إليه الثورة من دموية .. وإنه لن يذهب ليرى الإعدام أبدًا ..

قال الرجل وهو يتأمل الخطاب :

ـ « جميل يا حلوة .. لكن هذا كلام عام قد يقوله أى شخص مرهف الحس .. »

هنا مددت له يدى بالخطاب الثانى الذى سقط من عربة النبلاء ، وكنت قد جعلت أحد القوم يقرؤه لى .. وعرفت ما فيه .. وهكذا راح الرجل يقرأ بصوت عال :

ـ « نحن (لويس السادس عشر) ملك فرنسا ، نوصى كل رعايانا بالاهتمـــام بحامله نظـرًا لـكل ما قدمه لنـا والملكية من خدمات جليلة .. ثم توقيع الملك وخاتمه .. »

رفـع الرجل عينيه المحتقنتين إلى الرجال ، وهمس لى :

ـ « هذا خطير جدًا .. أين وجدت هذا ؟ »

ـ « فى المخبـز .. إنه يداريه تحت حجر كبير لكنـى سرقته منـه .. »

ونظر الرجل إلى أعوانه وهتف بلهجة آمرة :

ـ « اعتقلوا الخباز (ميشيل لافون) حالاً .. »

ـ « وفتـاة تدعى (ميشـيل لاريـف) كذلـك .. إنها جاسوسة معه ! »

وهكـذا تـم الأمـر .. كـانت محاكمـة صوريـة رأيـت مثلها مرارًا .. تهريج لا أكثر .. ولم تكن لدى الفتـى أية حجة ولم يصدق أحد أنه لـم ير صـك الملـك مـن قبــل .. أما الفتـــاة فقـــد تطوعت بالشـــهادة بأنهـا

جاسوسته .. كلاهما كان ينقل أخبار الثوار إلى الملكيين .. وكلاهما كان يضغط على أعصابه وهو يرى مواكب الإعدام اليومية ..

وفى نفس الجلسة ونفس الساعة أصدرت المحكمة حكمها على الحبيبين بالإعدام .. فقدت الفتاة وعيها ، على حين تماسك (بيير) .. نظر لى بعينين من نار وقال ضاغطًا على أسنانه :

ـ « فلينتقم اللَّه منك .. ولتكن دماؤنا البريئة وبالاً على رأسك .. »

لكنى لم أهتم ..

وبعد ثلاثة أيام اتخذت مكانى وسط الجماهير .. كنت فى أول الصف كى أرى بعينى انتقامى ينفذه حد المقصلة الرهيب .. هذا شعارى .. إما لى أو لن تكون لأحد ..

وجاء الحبيبان .. وتمت العملية فى سلاسة ويسر مما جعلنى أنتشى من دون طلا .. لقد سال دم كثير ، لكن ما أهميته جوار كل الدماء التى سالت من قبل ؟

نحن فى زمن مخيف يا رجال .. نحن فى زمن مخيف !

★ ★ ★

كان اسمه (بيير) .. لكنه الآن لم يعد اسمًا .. وحين جاء المساء ذهبت إلى الغابة حيث اعتدنا اللقاء ، وجلست وحدى .. هذه المرة كان شىء من الندم يغمرنى .. لماذا فعلت هذا ؟ هل أنا حقًا بهذه القسوة ؟

مازلت أحب نفسى وأحترمها .. مازلت أشعر بأننى فقط إنسانة تعسة لم تؤت ظروفًا تناسب جمالها .. ولم تؤت روحًا تقبل ظروفها .. ولم تؤت حبيبا يفهم روحها ..

شعرت بأن الأحراش تتحرّك من ورائى فارتجفت .. هل هى الريح ؟

لا .. لا توجد ريح ..

فقط كنت أراه قادمًا من خلفى يمسك بيده الفتاة .. وكلاهما من دون رأس .. وكان يقول لى من دون فم :



كنت أراه قادمًا من خلفي يمسك بيده الفتاة وكلاهما دون رأس ...

- « فلينتقم اللّه منك .. ولتكن دماؤنا البريئة وبالاً على رأسك .. »

لم يكن هناك لكنى شعرت به بقوة .. أصابنى الهلع فرحت أركض بين غصون الأشجار .. اصطدم غصن بوجهى فسال دم كثير .. لكنى واصلت الجرى ..

فجأة .. تعثرت .. شعرت بالأرض تميد من تحت قدمى .. صرخت وأنا أنزلق لأسفل ..

وفهمت أننى وقعت فى حفرة غير ظاهرة ..

فهمت هذا وأنا أنزلق وأفقد الوعى إثر ارتطام رأسى بالقاع ..

وحين أفقت وجدت نفسى هنا أمامكم معشر سادة جانب النجوم .. ومن جديد وكما قال الآخرون : أشعر بأننى عن جدارة أستحق أن أفوز بالحياة وأستحق لقب أشر الفانين الذين جاءوا هنا ..

★ ★ ★

نظر (سيجفريد الأميدى) الرهيب إلى (لوسيفر) والدخان يتصاعد منه كعادته كلما رضى عن شىء .. وعوى (روكيان) و(فلاد) بينما راحت أوردة (يوليان) المغتصب تزحف على الأرض بحثًا عن شىء تشربه .. وقرب منه أحدهم دلوًا مليئًا بشىء أحمر ـ دماء غالبًا ـ فهوت الأوردة عليه وراحت ترشف ما بداخله فى نهم .. كل هذا وصاحب الأوردة يتابع الكلام بلا احتفال بها ..

قال (الأميدى) والدخان يزداد كثافة :

ـ « هذا شر خالص .. شر نقى قلما نراه فى الفانين .. »

قال د. (لوسيفر) وهو ما زال جالسًا يعبث فى سلسلة عنقه الذهبية :

ـ « أنت تقول .. لكن فحواه ليست شرًا خالصًا .. ثمة هوى محبط .. والرغبة فى الحب لا غبار عليها بالنسبة للفانين ، ومن الوارد أن تغدو كراهية دموية .. أرى أن نستمع إلى القصة التالية .. »

مقاطعًا سألته همسًا :

- « هل يعنى هذا أن كل هؤلاء انتظروا كل هذا الزمن بانتظار أن أشرف أنا لتبدأ المحاكمات ؟ إن الفتاة تحكى قصة وقعت منذ قرنين .. »

- « لا وجود للماضى أو الحاضر أو المستقبل فى جانب النجوم يا د. (إسماعيل) .. الفتاة عاشت قصتها منذ قرنين لكنها جاءت للمحاكمة فورًا .. هى تعرف أن لها هنا قرنين ، لكنها تعرف كذلك أنها حوكمت فور وصولها إلى جانب النجوم .. لا تناقض هناك ! بل قل إن جانب النجوم هو التناقض ذاته حيث لا زمن .. لا أبعاد ! »

هنا فوجئت بشىء مريع يظهر .. لقد اعتدت الأشياء المريعة لكن هذا كان أسوأها على الإطلاق ..

كان ذئبًا هائلاً .. يمشى على قدميه الخلفيتين ، ويعوى .. إن ارتفاعه واقفًا كان يدنو من ثلاثة أمتار .. أى أنه بارتفاع سقف الحجرة التى أنت فيها الآن .. عيناه جمرتا نار والدم يسيل من فمه المفعم بالأنياب ..

وقال أحد المجتمعين :

ـ « (أمبـروزو المـذعوب) يطلب العبـور إلى عـالم الفانين .. »

قال (الأميدى) فى غير اكتراث :

ـ « فليذهب .. وليكن الحظ حليفه .. »

ورأيت (أمبروزو) يدفع رأسه دفعًا فـى جـدار أزرق لا وجود لـه .. يضربه بعناد وهو يعوى بـلا انقطـاع .. يضربه .. والشرر الأزرق ينبعـث مـن حولـه .. وفـى سقف القاعة راحت آلاف الأيدى ذات المخالب تصفق فى استمتـاع ..

الجدار الذى لا أراه يمتثل ببطء .. الثغرة تتسع .. إنـه يعبر ..

سألت فى لهفة وذهول :

ـ « هل هذا مذعوب ؟ مــاذا عـن مذعوبـى الأرض لطيفى المعشر رقيقى الحـاشية ؟ »

قال (لوسيفر) بلهجة الحكيم الذى يعرف أكثر :

ـ « هذا هو منظرهم الحقيقى .. هذا الذى رأيته سيخرج الآن من ثغرة ما فى (رومانيا) .. ربما فى كوخ قديم أو كنيسة مهجورة .. الكنائس المهجورة ذات خطر جسيم لأنها أماكن كانت الصلوات تقام فيها ثم لم تعد .. أماكن العبادة التى كف الناس عن ارتيادها ونسوها هى أخطر الثغرات التى يعبر منها سادة جانب النجوم .. بعد أن يخرج (أمبروزو) سيتخذ شكلاً أقرب لما تفهمونه أنتم ، ويجرح أول عابر سبيل .. وهكذا يتفشى وباء المذءوبين لفترة طويلة .. »

ثم عاد يكرر طلبه إلى المحكمة :

ـ « القصة التالية ! »

تقدم الشاب الثانى من قلب المنصة ، وسط ضوء (الإكليديس) .. ورفع يده هاتفًا :

ـ « أنا (كاسيوس توماسوس) .. من روما العظيمة .. هل لى أن أحكى قصتى ؟ »

قال (سيجفريد الأميدى) بصوته الجشع :

ـ « ابدأ السرد أيها الفانى .. ولتعلم أن الكذب خطيئتنا المفضلة ، لكنها لا تمنحك فرصة النجاة .. لا أحد يكذب على سادة جانب النجوم .. »

ـ « لن أكذب يا سيدى .. لن أكذب .. »

وبدأ يحكى قصته ..

★ ★ ★

الاعتراف الرابع
من شفتى (كاسيوس توماسوس)
آرينـــا

- ١ -

قال (كاسيوس توماسوس) بلغته اللاتينية العتيقة التى أثار دهشتى أننى صرت أفهمها فجأة :

- « الخبز وألعاب السيرك .. هذا هو كل ما يحتاج إليه الشعب الرومانى فى عصر أمجاد روما .. لقد قالها مؤرخون كثيرون ، ولم يدركوا كم هى صادقة .. »

* * *

إن اسمى يوحى بالعظمة .. لكنى لست قائدًا رومانيًا ولا من رجال مجلس الشيوخ لو خطر لكم هذا ببال .. أنا مجرد حداد .. صانع سيوف يجلب بها الرجال الآخرون المزيد من المجد لروما ..

لكن المدينة العظيمة لم تقض وقتها كله فى القتال .. كانت ترتقب بشغف يوم السيرك ، حيث يذهب الجميع إلى (الأرينا) ، التى تقام فيها المباريات .. كل شىء يمكن أن تراه هناك ، بدءًا بسباقات عربات الخيول ،

مرورًا بالمعارك البحرية التى يتم ملء الحلبة بالمياه من أجلها ، مرورًا بمصارعات العبيد حتى الموت ، وانتهاء برمى المسيحيين إلى الأسود ..

كانت روما كلها تنتظر هذه اللحظات فى شغف ، ويمكن لأى معاصر أن يتهمنا بالتهمة التى سيصكونها فى القرن التاسع عشر : السادية .. لكن لو فكرت فى الأمر لوجدت أننا لم نكن بهذه القسوة ..

نحن نعرف ما يدور على الأرض الآن .. ونعرف أن هناك فى العالم المعاصر من يترك ديكين يتصارعان حتى الموت ، وهناك أطفال يهوون إغراق الكلاب الصغيرة ، وهناك مذابح جماعية وإبادات عرقية .. حقًا لم يتخلص الإنسان من القسوة بعد ، ومازال لا يختلف كثيرًا عن جمهور الرومان الذى يزدحم فى (الأرينا) .. ولا أستغرب كثيرًا حين أرى فتاة تصرخ فى وحشية فى إحدى مباريات المصارعة الحرة الحديثة ، تطالب بطلها بأن يهشم عنق الآخر .. هذه الفتاة لاتختلف عن فتيات عصرنا اللواتى كن ينهضن

صارخات فى توحش ، وهن يشرن بإبهامهن إلى أسفل ، بما معناه الموت للمصارع الساقط على الأرض ..

كان السيرك الشهير هو (سيركس ماكسيموس) .. أشهر سيرك على الإطلاق فى التاريخ كله .. أنشأه (يوليوس قيصر) ، وكان يتسع لمائتى ألف متفرج .. ويقال إن (بومبى) العظيم أقام خمسة أيام.من ألعاب السيرك مات فيها خمسمائة أسد وعشرين فيلاً ..

هناك كنا نستمتع بالمصارعات بين العبيد .. يخلب لبنا الريتياريوس الذى يقاتل بالشبكة ، ويحاول أن يشل حركة خصمه السيكوتور .. والمصارعون على الخيول .. وحاملو الهراوات .. الخ ..

لكن أسوأ الساديين كما تصفونهم .. أشر الأشرار .. كانوا هم الحكام الرومان أنفسهم .. يبدو أنهم جميعًا كانوا مجانين ، ولم يكونوا يعيرون الحياة البشرية أدنى اهتمام .. وكنا فى عصر أكثر الحكام جنونًا على الإطلاق : كاليجولا .. الابن الأصغر لقائد عظيم

هو (جرمانيكوس) .. الذى أطلق عليه اسم (كاليجولا) تهكمًا من أحذيته العسكرية .. إن (كاليجولا) باللاتينية : (الحذاء الصغير) ..

هذا هو المنظر الخلفى لقصتى ، وهو كما ترون غنى بالعنف بالقسوة بحيث لايحتاج إلى مزيد ..

⋆ ⋆ ⋆

متى صرت شريرًا ؟

الإجابة المعروفة هى أننى لا أذكر .. لكنى لم أر فى نفسى خيرًا قط ، ومنذ شبابى لم أتورع عن شىء ، لأنى ـ كما قررت ـ لاجدوى من إصلاجى .. كنت أغش وأسرق وأخدع وأطفف فى تجارتى ، لكنى لم أقتل قط ولم أتسبب فى مقتل مخلوق .. حتى هذه اللحظة ..

كنت أتعامل مع القصر ، فأصنع الأسلحة للإمبراطور .. وكانت هذه الفترة هى فترة الرحمة فى حياته .. كان ما زال عاقلاً يسوس البلاد بعناية ، قبل أن يجن ويعتبر نفسه إلهًا ، ويعين حصانه مستشارًا ، ويقتل أقاربه ، وما إلى ذلك من هذا الهراء الذى سمعه اللاحقون وضحكوا منه أو ارتعبوا ..

أحيانًا كنت أقابله فى بلاطـه وسـط حراسـه ، فكان يتفحص السيوف التى أصنعها ويختار بعضها ويجزل لى العطاء .. كان رجلاً عسكريًا يحب السلاح الجيد ..

ذات يوم كان رائق المزاج (أم لعله ثمل ؟) فـراح يتجاذب أطراف الحديث معى .. سألنى عن السيرك ، وما إذا كان يروق لى ، فقلـت له وأنـا أخفـض نظرى تأدبًا :

ـ « جميل يا سيدى .. هو بهجتنـا ومصدر هنائنا .. لكنى كنت أتمنى لو طعمته ببعض الدببة .. »

ـ « دببة ؟ هذا غريب .. »

وفى تأدب شرحت له أن الأسود تقتـل ضحاياها علـى الفـور وكـذا النمـور .. أمـا الدببـة فتعبـث بهـا عبثًـا ولربمـا تجاذب دبان ضحيتهمـا .. ممـا يجعـل المشـهد مسليًا بحق ..

ـ « من أين لك هذا العلم أيها الحداد ؟ »

ـ « رفاقى الجنود العائدون من آسيا أيها الإمبراطور .. وصفوا لى المشهد ببراعة كأنما رسموه لى .. »

راح يفكر .. ولم أدر أن كلامى وقع من نفسه موقعًا حسنًا ..

هنا ـ أكرر ـ لم يكن قد جن بعد ، لكن أى إمبراطور رومانى كا بحاجة إلى تسلية الجماهير .. وتسلية الجماهير ضمان الاستقرار الدائم .. وقد دفعته هذه الحاجة إلى جلب بعض الدببة من آسيا .. لامشكلة هنالك فالإمبراطورية الرومانية تمتد فى أرجاء الأرض .. من الجرمان المتوحشين فى الشمال حتى وسط إفريقيا فى الجنوب .. ومن أسوار الصين حتى ساحل البحر الكبير فى الغرب ..

وجاء اليوم الذى أعلنوا عنه طويلاً ونزلت الدببة الشرسة إلى الحلبة ، وكان أداؤها رائعًا جعل المشاهدين يصرخون حماسة .. إن الدببة سادية تمامًا مثل المشاهدين .. ربما أكثر .. ومن الغريب هنا أن الأسود رحيمة تكتفى بالقتل والالتهام ، لكنها لاتلعب تلك الألعاب القاسية ..

لا أدرى إن كان هذا قربنى للإمبراطور ، لكنه فى تلك الأيام كان قد بدأ مرضه العضال الذى أودى بعقله إلى الجنون ..

* * *

ـ٢ـ

فى (الأرينا) من جديد ..

كـان العـرض قد بـدأ وكـان النـاس يهللـون وهـم يشاهدون سباقات الخيـول .. وأنـا أراهـا مملـة بحـق لأنـها لاتحتوى على العنف الكافى لى ..

بعد هذا تـأتى مصارعـات العبيـد .. وهـى لا بـأس بها حقًا ..

أرفع عينى لأعلى كى أرى (كاليجولا) ـ الذى بـدأ عقله يختل تمامًا ـ جالسًا فى المقصورة وسط النسـاء ، يلتهم الفاكهة ويتأمل المصارعة من خلال بلورة نقية حمراء ..

العبد يسقط خصمه ببضـع ضربـات ، ويرتمـى الخصم على الأرض عاجزًا عن النهوض .. فيرفع العبد الأول رأسـه إلـى الإمـبراطور والمشـاهدين طالبًـا رأيهـم .. ببطء شديد ترتفع أصابع المشاهدين لأعلى .. الإبهام

المصوب إلى السماء معناه الإبقاء على حياة الخصم .. لقد أبلى بلاءً حسنًا ومن حقه أن يعيش ..

لكن الإمبراطور يخفض إبهامه فى إشارة واضحة إلى أنه يرفض قرار الجماهير .. على العبد أن يقتل ضحيته وإلا مات هو نفسه .. قديمًا تمرد عبد هو (سبارتاكوس) على القرار ، فأبيد هو ومئات العبيد الذين حاول أن ينظمهم فى ثورة تجتاح روما .. أحمق .. هل يمكن أن تقهر روما ؟

وينتهى العبد من قتل خصمه وسط احتجاج الجماهير .. قلما اصطدم إمبراطور بإرادة الجماهير بهذا الشكل المباشر الفظ ، والحقيقة أن (كاليجولا) كان يسير فى الطريق الطويل المفضى إلى التمرد والثورة ، ولهذا قتله قواده فيما بعد .. فى مناسبة لم أحضرها بالطبع ..

بعد هذا يجىء أهم أجزاء الحفل بالنسبة لى : إنهم يلقون المسيحيين إلى الحلبة .. المسيحيون الذين يمارسون عقيدتهم سرًا برغم أوامر الإمبراطور ..

هؤلاء كان يتم القبض عليهم فى الأقبيـة والسـراديب التـى يجتمعون فيها ، وكـانوا يلقـون إلـى الأسـود بلا مناقشة ..

يقفون يبكون ويصلـون ، وتغطـى الأمهـات عيـون أطفالهن .. يتجمعون فى منتصف الحلبة محاولين أن يتحمّلـوا اللحظـات المريـرة القادمـة .. وسـرعان ما تنفتح الأقفـاص وتخـرج الأسود التى طـال جوعها وتوحشت ..

إن هذه المشاهد معروفة على كل حال ، ولن أطيل عليكم وصفها .. لكن الجمهور كان قد بدأ يتحول إلى وحش مسعور هائج لا يمكن إشباعه أو إسكاته ..

كنت أراقب هذا الذى يحدث ، وأختلـس نظـرة إلـى أسفل الحلبة .. فلاحظت شيئًا فاتنى من قبل ..

كان هناك عدد مـن المتفرجيـن الأكـثر حماسـة قـد غادروا مقاعدهم ، وعبروا إحدى البوابـات الحديديـة المحظور عبورها على الجمهور .. هكذا صاروا فـى الحلبة فعلاً .. لكنهم كانوا يتسلقون بعض القضبان

الحديدية المنصوبة هناك كى يـروا المشـاهد الرهيبـة بشكل أفضل .. وكانوا يعلمـون أن البـاب وراءهـم .. يمكنهم أن يعودوا له فى أى وقـت يشـاءون .. بالإضافـة إلى أن الوحوش كـانت مشـغولـة ، وكـان هنـاك عـدد من الحراس بدروعهـم ورمـاحهم يمنعون الوحـوش لو قررت العودة إلى هؤلاء الدهماء ..

خطرت لى فكرة .. فكرة من الطراز السابق ..

توجهت إلى مقصورة (كاليجولا) وطلبت المثـول أمامه ، وكـان الحـراس يألفـون وجهى ، لكنى برغم ذلك صحت :

- « أنا صاحب فكرة الدببة أيها الإمبراطور ! »

نظر لى وأشار إلى الحراس كى يخفضوا رمـاحهم ، ثم قضم قطعة من تفاحة .. بينما زحفت على ركبتـى حتى صرت تحت قدميه .. قلت له خافض البصر :

- « لدى فكرة لإمتاعكم وإمتاع أهل روما العظيمة أيها الإمبراطور .. »

لم يتكلم فرحت أقص عليه فكرتى .. وأدركت أنها راقت له لأن ابتسامة وحشية شاعت فى وجهه .. كلا لم أكن أبغى التقرب له قدر ما أردت أنا نفسى أن أرى هذا المشهد ..

* * *

انتهت الأسود من آخر المسيحيين فتم إخلاء الحلبة .. دخل الجنود برماحهم ودروعهم واقتادوا الأسود إلى أقفاصها .. الرمال ما زالت طرية بالدم ..

ثم أعلن مقدم الحفل عن الدببة .. انفتحت الأقفاص وظهرت الدببة العشرة التى جاء بها (كاليجولا) .. كانت جائعة كالعادة ، وراحت تدور فى الحلبة بحثًا عن الفريسة ..

لم ير أفراد الجمهور المتحمسون ـ الذين يتسللون إلى خارج الحلبة ـ أن البوابة خلفهم قد انغلقت ..

لم يروا أن الحراس انسحبوا إلى الوراء خلسة ..

لم يفهموا أنهم تم استبعادهم من صفوف الجماهير ليجدوا أنفسهم داخل الحلبة فعلاً ، وأن الحلبة ملأى بالدببة الشرسة ..

وحين فهموا .. وحين سمعوا صياح الجماهير المتحمس .. عندها ركضوا إلى البوابة الموصدة وراحوا يضربونها ..

راحوا يتوسلون إلى (كاليجولا) كى يطلق سراحهم .. لكنه كان فى حالة جهنمية من النشوة ، ولم يكن على استعداد لإفساد متعته هذه .. كان أشد ما راق له فى الأمر هو ذهول هؤلاء حين انتقلوا بسرعة البرق من خانة المشاهدين الآمنين إلى خانة الضحايا ..

وسرعان ما انقضت الدببة .. وكالعادة كان أداؤها باهرًا وأطالت عذاب هؤلاء التعساء أطول وقت ممكن ..

ولم نسمع صراخهم لأن (كاليجولا) كان يقهقه فى هستيريا .. يقهقه كما لم يفعل من قبل ..

* * *

هل تسببت فى جنونه ؟

لا أزعم لنفسى شرفًا كهذا .. (كاسيوس توماسوس) مجرد حداد لا يقدر على تبديل الملوك .. لكن الحقيقة أن (كاليجولا) بعد هذا اليوم أدرك أن القسوة ميثاقه ودينه ، وأن عليه أن يظفر بأقسى المتع فى الحياة لأنه سئم كل المتع العادية .. لقد تبدل (كاليجولا) من مجرد إمبراطور سادى قاس إلى وحش مجنون ..

وكنت أنا مذعورًا وأنا أراه يتخلص من أقرب الناس إليه ، وكل من أسدوا له العون يومًا ما ..

لماذا لا يجىء دورى ؟ لماذا لا يتخلص منى يومًا ما ؟

إنه مجنون .. والجنون لا يخضع للمنطق أبدًا .. ولا يحفظ الجميل لو كان ما فعلته معه جميلاً ..

وهكذا فررت خارج روما ذات ليلة مدلهمة ، وتواريت فى أطلال معبد قديم ..

أعتقد أننى لم أجرح نفسى كما فعل كل من جاء هنا .. وربما فعلت ..

فقط فتحت عينى لأجد أننى فى جانب النجوم ، وأن على أن أقضى ألفى عام لا أدرى كيف مـرت .. لكنـى أشعر بأننى جئت هنا من دقائق لا أكثر ..

صدقونى يا سادة جانب النجوم .. ليس من الموجودين هنـا مـن هو أشـر مـن (كاسـيوس توماسـوس) .. لا لست أشر النـاس قاطبة لأن (كاليجولا) كان أكـثر شرًا منى .. لكنى أشر الموجودين هنـا علـى الأقـل ، ولـهذا أطلب الحياة ..

* * *

انتهت القصة وكنت أنا بحق أمنع نفسى من القىء .. إن كل هذا الشر لا يناسب معدتى جيدًا خاصة فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، لو كانت فى جانب النجوم ساعات متأخرة ..

قال د. (لوسيفر) بطريقته البطيئة المنهكة :

ـ « صدق إذ قال إنه ليس أشر الناس قاطبة .. ربما كان أشر الموجودين أو لم يكن .. لكنه بالتأكيد ليس أشر من عرفت .. »

ونظر لى وابتسم ابتسامته الصفراء الغريبة ، فقلت :

ـ « لو كنتم تريدون مستوى أعلى من الشر فعندكم كفار قريش .. والفرنسيون .. وعندكم جزارو (دير ياسين) و(كفر قاسم)(*) .. حقًا إن العالم ملىء بالشر الذى يكفى لجعل هؤلاء الواقفين هنا هواة .. »

قال موافقًا وهو يمسح جبينه بمنديل حريرى :

(★) القصة تحدث فى أوائل السبعينات ولم تكن (صبرا وشاتيلا) و(قانا) وآلاف المذابح الأخرى قد حدثت بعد ..

ـ « الحق قلت .. لكننا لانختار زوار جانب النجوم .. هم يختاروننا .. »

قلت له فى ملل لم أستطع الخلاص منه قط :

ـ « أنا لن أظل هنا للأبد .. إن قصصى لن تروق لكم .. تأكد من هذا .. يمكنكم بسهولة الفتك بى الآن أو تركى أعود إلى عالمنا وينتهى الأمر .. »

ـ « بل تنتظر .. تنتظر حتى يسمعك (فلاد الوالاشى) ويعرف أنك من كان سبب هلاك (هالماجيو) التى صارت (إنفرنوس) !! »

كنت أخشى هذه النقطة بالذات ،ونظرت إلى الأخ (فلاد) لكنه لم ينظر لى قط .. وبدا كأنه لم يسمع ما أقول .. ونظر (لوسيفر) إلى المحكمة الموقرة ، وهتف :

ـ « الآن فليتكلم من عليه أن يتكلم .. وليصمت من عليه أن يصمت .. »

هنا تقدمت الفتاة الثانية إلى الأمام .. كانت ترتجف تهيبًا لكنها تماسكت .. من فمها خرج الصوت الواهن المتحشرج :

ـ « أنا (جين هاملتون) .. أمريكية .. أرجو أن يؤذن لى بالكلام كى أبرهن على شرى .. »

يا للجنون ! فى هذا المكان العجيب فقط يمكن أن تقال كلمات هذه .. بينما فى كل مكان من العالم يكذب الشرير كى ينجو .. هل تريد رأيى ؟ معنى هذا أن هناك أملا فى عالمنا .. ما زال الخير هو الغالب وهو من يضع القواعد وهو من يحاسب الشر .. وما زال الشر هو الأضعف وهو المحتاج إلى الكذب والمداراة والاختباء والخداع .. .. ما دام الميزان لم يختل فالأمل موجود ..

قال (سيجفريد الأميدى) بصوته الرغوى الذى يحطم أعصابك إن لم تكن تحطمت من منظره :

ـ « ابدئى السرد أيتها الفانية .. ولتعلمى أن الكذب خطيئتنا المفضلة ، لكنها لا تمنحك فرصة النجاة .. لا أحد يكذب على سادة جانب النجوم .. »

ـ « لن أكذب يا سيدى .. لن أكذب .. »

وبدأت تحكى قصتها ..

* * *

الاعتراف الخامس

من شفتى (جين هاملتون)

اجتماع فى الغابة

ـ ١ ـ

قالت (جين) بصوتها المرتجف :

ـ « ليس كل ما يلمع ذهبًا ، وليس كل ما يطير نسرًا .. »

★ ★ ★

أنا أعيش فى (يوتاه) .. والبلدة التى أعيش فيها بلدة صغيرة قرب (سولت ليك سيتى) ، على ضفاف نهر الأردن ..

بلدة من التى تكثر فيها القصص والأقاويل ، لأنه ما من أحد يجد طريقة أفضل للتسلية ..

كانت أسرتى تدين بعقيدة (قديسو اليوم الآخر) التى تنتمى إلى (جوزيف سميث) .. بعبارة أخرى نحن من (المورمون) .. وهم طائفة دينية محافظة تعيش بقواعد أقرب إلى القرن الماضى ، وباختصار كنا نحن الفتيات الأمريكيات الوحيدات اللاتى لايكلمن الفتيان ، ويعدن للبيت قبل التاسعة مساء ..

وأنا هنا لا أتكلم عن المورمون .. إن عيوبى وأخطائى - التى سأحكى عنها - هى عيوبى وأخطائى أنا ولا دخل للمورمون فى الأمر ..

فقط أردت أن أبين لك الجو النفسى الذى تعيش فيه بلدتنا ، وكيف أن مجموعة من الفتيات يخنقهن الملل إلى حد القيام بما قمنا به .. وكيف أن الخطر الذى يتهددنا كان عظيمًا سواء مما قمنا به ، أو من أهل البلدة ..

متى حدث هذا ؟ حدث فى الصيف .. إحدى أمسيات الصيف ..

* * *

كنت جالسة مع صديقاتى (روزلين) و(كاتى) و(ليا) .. إننا فى ذات سن المراهقة ، وكلنا فى المدرسة الثانوية معًا .. كنا نشعر بالملل الشديد وبحثنا عن أى شىء نفعله مما تفعله بنات الضواحى الصغيرة المهذبات اللاتى تربين جيدًا .. والمشكلة هى أننا فعلنا كل شىء تقريبًا وفعلناه مرارًا ..

كانت (روزلين) أقوانا شخصية وهى المحرك الدائم لهذه المجموعة ، وكان اقتراحها بسيطًا :

ـ « هل تعلمن يا بنات ما كان يحدث فى الغابة القريبة ؟ على ضفة النهر ؟ »

قلنا لها إننا لانعلم .. من العسير أن تكون واحدة منا من العلم إلى درجة أن تعرف كل ما حدث فى غابة معينة .. هذه مبالغة لاشك فيها ..

قالت (روزلين) وهى تستمتع بإثارة فضولنا :

ـ « كانت الساحرات يجتمعن هناك فى الليالى المقمرة .. »

كنا نعرف هذا بالطبع .. كل البلدة تعرفه .. لكن هذا الكلام الفارغ كان يحدث منذ مائة عام .. ربما مائتين .. لاأحد يعبأ بهذا اليوم .. لو أنك عددت الأماكن التى حدثت فيها جريمة قتل أو الأماكن التى كانت فيها ساحرات ، فى المائة عام الماضية فلن تجد مكانًا تمشى فوقه ..

قلنا لها فى ملل :

ـ « كل جحش فى البلدة يعرف هذا .. »

قالت وعيناها تلمعان :

ـ « لا مشكلة .. أنا لا أطلب منكن التذكر بل أطلب المشاركة .. الليلة يكتمل القمر ، وهناك فرصة لا بأس بها فى ساعات من الإثارة .. سنلتقى الليلة هناك .. منتصف الليل .. لتحضر كل واحدة منكن عباءة سوداء ومكنسة !! »

ـ « حتى لو تحمست فكيف أغادر الدار ليلاً ؟ أنا لن أتمكن من الخروج بعد العاشرة مساء يا (روزلين) .. أنت تعرفين هذا .. »

وقالت (ليا) شيئًا مماثلاً ..

هنا قالت (روزلين) فى مكر :

ـ « الأمر هين .. كلنا نعانى المشكلة ذاتها .. لكننا سنتسلل تحت جنح الظلام .. ماذا عن وسادة تحت الملاءة ؟ ماذا عن مغادرة البيت من الباب الخلفى ؟ »

فكرنا قليلاً .. لا بأس .. من الممكن أن ننفذ هذا .. لاتوجد واحدة منا لاتستطيع المجىء إذا أرادت ، والتنصل من الأمر لا يعنى إلا الخوف .. خوف من ماذا ؟ لاشىء يخيف فى هذه الغابة ولافى بلدتنا كلها .. ومعنى التنصل هو الجبن والظهور بمظهر مضحك أمام الأخريات .. لأسباب كهذه يفعل المراهقون أى شىء .. أى شىء ..

سألتها (كاتى) فى تهكم :

ـ « هل أحضر معى قطة سوداء وقلب طفل ؟ »

ـ « لو كان عندك شىء كهذا فلا تبخلى به علينا ! »

وعدت لدارى .. كانت الأسرة بانتظارى للعشاء ..

بعد العشاء أعلن أبى أن على دخول الفراش أنا وأخى وأختى .. والأعمار بالترتيب هى 17 ـ 11 ـ 7 .. ثلاثة أطفال وهو عدد قليل جدًّا بالنسبة للمورمون .. إنهم يؤمنون بكثرة النسل ، كما أن الرجل يتزوج أكثر من واحدة ، وأمى تعرف أن أبى سيتزوج يومًا ما لكنها لاتعترض ..

غرفتى فى الطابق الثانى من البيت .. وعلى خلاف

كل غرف المراهقين ، ليست فيها صورة واحدة لأى من المشاهير أو نجوم الغناء .. بالأحرى ليست فيها أية صورة على الإطلاق ..

لكن فيها نافذة .. والنافذة تطل على المرج الخلفى ..

لقد استعملت هذا الطريق سرًا مرارًا .. والسبب كما ستعرفون بعد قليل أننى شريرة .. نعم شريرة ..

لم تكن (روزلين) جادة حين تكلمت عن الوسادة تحت الغطاء ، ولكننى فعلت هذا مرارًا من قبل ، والانطباع النهائى يوحى لمن يراه أننى نائمة بعمق ..

وحين تأكدت من أن الأضواء قد أطفئت فى البيت كله ، فتحت النافذة ، وعضضت على الكشاف الصغير بأسنانى ، وغادرت الغرفة كاللصوص من النافذة ..

طبعًا لم أكن خالية الوفاض .. كانت معى عباءة سوداء ، ومكنسة صغيرة علقتها بحبل فى عنقى .. وبعض الأشياء الأخرى ..

* * *

من القادم هناك عبر الأحراش ؟ الذى لاوجه له ولا اسم له ؟

إنه أنا أيتها الأخت (مرلين) .. أنا الأخت (برسياليوس) .. هووووه ! هووووه !

كنا قد بدأنا نتجمع فى تلك الرقعة الخالية بين الأشجار ، والتى غمرها ضوء القمر .. أربع فتيات فى أربع عباءات سوداء ، ومعنا المكانس .. وقد جلبت معها (روزلين) بعض الشموع والطبشور ورسمت نجمة خماسية على الأرض ..

تعالت الضحكات وصيحات المرح .. هانحن أولاء نفعل نفس ماكانت الساحرات يفعلنه منذ قرون .. وكان الحرق أو الغرق مصيرهن .. أما نحن فلسوف نمرح قليلاً ثم نعود لديارنا ..

كنا قد أطلقنا على بعضنا أسماء جديرة بالساحرات .. وكانت الأخت (برسياليوس) طبعًا هى (روزلين) وقالت لنا وهى توشك على فقدان وعيها من كثرة الضحك العصبى :

ـ « والآن ماذا نقول ؟ »

ـ « المفترض أنك تعرفين هذه الأشياء .. »

ـ « أنا لا أعرف كيف كان الأمر يبدو .. »

قلت أنا وقد رسمت على وجهى الجد :

ـ « حسن .. سأتكلم أنا .. إننا هنا فى حضرة الساحرة الكبرى الأم (إيزادورا) .. إنها ترانا وتحضر هذا الحفل معنا .. ولسوف أتلو التعاويذ التى تحبها هى .. »

ثم أخرجت ورقة من ثيابى ، بها بعض العبارات بلغة غامضة .. ربما كانت كلمات أشورية أو سريانية أو فينيقية .. لا أحد يعرف .. لكنى رحت أرددها وأمرت الفتيات أن يرددنها معى ..

رحن يرددن بأصوات رفيعة مبحوحة منفعلة ، وهن يكتمن الضحكات ..

وهمست (ليا) وهى تمسك ضحكتها بصعوبة :

ـ « أنت مقتنعة حقًا .. لقد بدأت أرتجف .. »

ـ « ششششششش ! »

كانت هذه من (روزلين) .. وهكذا ساد الصمت إلا من أصواتنا التى صارت خفيضة جدًّا .. وفجأة صرخت (كاتى) فى هلع :

ـ « هل رأيتم ؟ وراء هذه الأشجار ؟ »

ـ « ماذا هنالك ؟ »

ـ « لقد رأيت جسمًا .. جسمًا آدميًّا يركب مكنسة يحلق من أعلى ليتوارى وراءها !! »

★ ★ ★

-٢-

كان هذا طبيعيًا .. من الذى لاتتملكه العصبية والهواجس فى هذا الجو الشيطانى ؟

قلت لها فى ضيق :

- « أكره أن أفسد هذا الخيال .. لكنك تعرفين مانعرفه .. هذا الشىء طائر .. بومة فى الغالب .. ومن الذى يلوم بومة على التحليق ليلاً فى غابة ؟ »

- « البومة لاتركب مكنسة ! »

- « والساحرات اللائى يطرن لاوجود لهن .. كفى بلاهة ودعونا نعد إلى ما بدأناه .. »

عدت أتلو التعاويذ من الورقة ، ورفعت رأسى إلى صف الأشجار البعيد .. وابتسمت .. كان هناك غراب أسود يقف فوق أحد الغصون يراقبنا .. أشرت لهن إليه فهدأن قليلاً .. الآن نعرف سر ماحلق واتجه خلف الأشجار ..

قلت لهن وأنا أمد يدى فى الكيس الذى أحمله :

ـ « الآن لابد من التهام هذه الأشياء .. قلوب القطط ! »

صاحت (ليا) فى ذهول :

ـ « هل جننت ؟ »

ـ « لاتكونى سخيفة .. لاحاجة بى إلى أن أذكركن كل دقيقة بأننا نتظاهر .. نـ .. تـ .. ظـ .. ا .. هـ .. ر .. أية متعة تبقى لنا إذن ؟ هذه قطع من الهلام الأحمر عديم المذاق .. »

ومددت يدى أناول كلاً منهن قبضة من محتوى الكيس .. فأمسكت كل واحدة بنصيبها وراحت تلتهمه فى الظلام .. سرنى هنا أن (روزلين) قوية الشخصية التى اعتادت لعب دور القائد صارت تطيعنى فى غباء .. فهى لم تضع كل هذه التفاصيل فى ذهنها حين اقترحت الفكرة ..

ـ « وهذا شراب الساحرات .. إنه مصنوع من الأعشاب والضفادع وأجنحة الوطاويط ! »

وصببت لكل منهن بعضه فى أكواب ورقية .. شرعن يأكلن ويشربن وهن ينظرن لى فى دهشة .. وضحكت (روزلين) حتى خرج ما تأكل من أنفها، وقالت وهى تسعل :

- « ماكنت أحسب الأمر بهذا التعقيد .. متى أعددت كل هذه التفاصيل ؟ »

- « هذا سرى الخاص .. بالمناسبة هذا الشراب مصنوع من الجزر مع الخيار .. إنه صحى .. »

- « كانت الساحرات يتحملن الكثير حقًا ! »

وحين انتهى الطعام رحنا نرقص لمدة نصف ساعة حول الشموع والنجمة .. ولاحظنا أن الغراب ظل واقفًا يرمقنا فى ثبات ..

هتفت (ليا) وهى تنظر إلى الأفق خلف الأشجار :

- « الشىء الذى رأيته منذ قليل طار الآن على مكنسته مبتعدًا .. صدقن هذا أو لاتصدقنه .. »

- « نحن لانصدقه لكننا سنتظاهر بأننا نفعل .. »

كانت الساعة الآن الثالثة صباحًا .. حان وقت العودة لديارنا والتظاهر بأننا نمنا ثمانى ساعات متواصلة بلا أحلام .. وقالت لى (روزلين) ونحن نخرج من الغابة :

ـ « لم تكن ليلة رديئة .. الفكرة فكرتى لكنك جعلتها تبدو حقيقية .. وقد كانت أمسية مثيرة .. »

وقالت (كاتى) وهى تمسح العرق عن جبهتها :

ـ « سنكررها كثيرًا .. أليس كذلك ؟ »

قلت لها إننى موافقة .. لكن يجب أن يخبرونى بهذا كى أعد للأمر عدته .. ومن الأفضل أن نختار الليالى التى يكتمل فيها القمر بدرًا ..

وافترقنا شاعرات بالرضا والسرور ..

★ ★ ★

بعد يومين جاءت (روزلين) إلى دارنا ، وحيت أمى ، ثم طلبت أن تلقانى .. فسمحت لها أمى بالصعود إلى غرفتى .. كنت متمددة فى الفراش أقرأ بعض الروايات حين دخلت صديقتى علىَّ ..

قالت لى وهى تنظر إلى الغرفة غير المنسقة :

ـ « لم نرك منذ يومين .. »

ـ « كنت مشغولة فى القراءة .. إن الصيف يمر ببطء هنا .. »

قالت لى فى حذر وهى تعقد كفيها على ردفيها :

ـ « ثمة أمور مهمة يجب أن نتكلم فيها الليلة .. يجب أن نراك على انفراد فى الغابة حيث كنا .. »

ـ « لكن الليلة غير مقمرة .. فما أهمية اللقاء ؟ »

قالت بلهجة ذات مغزى :

ـ « أرجوك .. »

وهكذا فعلت كما طلبت منى .. لم يكن هناك اتفاق على اللهو الليلة ، لكنى برغم هذا أخذت معى العباءة السوداء والمكنسة .. وسرعان ما قصدت الغابة بعد منتصف الليل ..

كانت الفتيات هناك .. وأدركت حين رأيتهن أن

الأمر خطير .. هذه الوجوه لا تتجهم إلا لأمر جلل .. هذه النظرات لا تتوهج إلا لسبب مقلق ..

دون سلام قالت لى (روزلين) بكلمات صارمة :

ـ « كيف غادرت البيت ؟ »

ـ « كما غادرته فى المرة السابقة .. عن طريق النافذة فى حجرتى .. لماذا تسألين ؟ »

ابتسمت ونظرت إلى (كاتى) و(ليا) وقالت :

ـ « لدى شاهدتان استطاعتا أن تراقبا غرفتك الليلة ، وهما تزعمان ـ وضغطت على الكلمة الأخيرة ـ تزعمان أنك طرت على المكنسة التى تحملينها !! »

ـ « آه !! هل سنعود إلى هراء البنات هذا ؟ »

قالت (كاتى) وهى تنظر لى فى ثبات :

ـ « لم نشك فى شىء .. حتى عرفنا من نائب الشريف هنا أن هناك مجنونًا يقتل القطط ! »

ـ « ما هذا السخف ؟ »



تزعمين أنك طرت على المكنسة التى تحملينها !! ..

ـ « لقد وجدوا أربع قطط مقتولة .. قطط سوداء ! والأدهى أن قلوبها قد نزعت نزعًا .. هذه القطط كانت فى صندوق قمامة قرب هذه الغابة .. والغريب أن هذه ليست المرة الأولى التى تحدث فيها شناعة كهذه ! »

وهنا تدخلت (ليا) فى المحادثة وقالت فى توحش :

ـ « أما أنا فقد تقيأت الشراب حين عدت لدارى لأننى مشمئزة منه .. وجدت فى القىء أشياء غريبة جدًا .. وخطر لى هنا أن ما التهمناه فى الظلام لم يكن هلامًا أحمر !! »

ـ « أنتن مجنونات !! »

قالت (روزلين) وهى تحيط صديقتها بذراعيها :

ـ « لهذا طلبت من (ليا) و(كاتى) أن يراقبا حجرتك الليلة .. وقد وجدنا الدليل القاطع على صحة شكوكنا .. لاداعى للخداع يا (جين) .. أنت جعلتنا نلتهم قلوب

قطط ونشرب شرابًا من الضفادع والوطاويط ! أنت فعلت هذا عمدًا فلا تقولى إنه كان اندماجًا فى الخيال ! »

هنا أدركت أنه لاجدوى من الاستمرار فى الخداع .. هاته الفتيات لسن بلهاوات .. تراجعت إلى الوراء وصحت بوحشية :

- « نعم .. أنتنّ شاركتن فى حلقة سحر حقيقية .. هل تعرفن معنى وجود الغراب الأسود الذى وقف على الشجرة يراقبنا ؟ اذهبن فاقرأن عن الساحرات اللائى كن يجتمعن هنا لتعرفن معنى ظهور غراب أسود !! لقد قبل التماسنا .. لقد جاء ليشاركنا الحفل ، وأنتن الآن ساحرات حقيقيات أردتن هذا أو لم تردن ! ولسوف نجتمع هنا كلما أردت أنا .. لسوف نستمر فى الشىء ذاته وإلا كان انتقامه شنيعًا ! »

« هل تردن معرفة أكثر ؟ أنا أمارس الشىء ذاته منذ ثلاث سنوات ! بدأت وحدى لكنى كنت بحاجة إلى حمقاوات يمارسنه معى .. وإذا بالبلهاء (روزلين) تقترح الشىء الذى كنت أتمناه ولا أجرؤ على التصريح به ..

« والآن أنتن ساحرات شريرات .. ولن تستطعن التملص ! »

ـ «أيتها الشيطانة ! »

ولم أدر كيف انهالت الفتيات علىَّ ضربًا .. فسقطت على الأرض .. انهلن ركلاً هذه المرة .. وكان جنونهن قد جن بحيث لم يعد الكلام ذا جدوى ..

رأيت المقت المجنون فى عيونهن ، وعرفت أنهن سيقتلننى لا محالة ..

ـ « لسوف تموتين كالكلب العقور !! »

ـ « أيتها المخادعة !! »

لا مفر .. من الواضح أنهن لن يتركننى إلا جثة هامدة .. لا أجد الكلمات التى تطردهن خاصة أنهن اكتسبن بعض قوى السحر فلم يعد بوسعى إحراقهن ..

لا مفر من الهرب .. تحاملت على نفسى وأبعدتهن عنى ، ورحت أركض وسط الأحراش .. الدم يسيل من أنفى ، والأغصان تمزق ثيابى لكنى أركض .. أركض وألهث ..

فجأة مادت الأرض مـن تحت قدمـى .. يبـدو أننـى فقدت الوعى جوار شجرة غليظة عتيقة من الأشـجار التى وجدت هنا من قرون ..

ولما صحوت وجدت أننى هنا أمام سادة النجوم ..

أحاول أن أثبت لهم أننى أستحق الحياة ، وأن أحدًا مـن الموجودين هنـا لا يجسر أن يزعم أنه كـان أشـر منـى ..

* * *

لما انتهت القصة وقفت الفتاة تلهث انفعالاً ثم عادت إلى الوراء كأنما تنتظر الحكم عليها ..

تدحرجت عشرات العيون من وجه (سانجينوس الأسود) .. وراحت تركض كالبراغيث فى كل أرجاء القاعة .. وزحفت إحداها على حذائى فأجفلت ووثبت إلى الوراء ..

قال د. (لوسيفر) وهو يتأمل أنامله الطويلة الجميلة :

ـ « لابأس .. هذا يروق لى .. ولعمرى إن السحر من أشر شرور الفانين .. اعتدنا أن نحضر هذه الاجتماعات فى صورة قط أو غراب أسود .. أيامًا باسمة كانت .. لم ينته السحرة من الأرض لكن أساليبهم تبدلت كثيرًا .. »

ثم نظر فى عينى ، وقال بثبات :

ـ « كاره أنت لكل ما لاتطيق سماعه ! »

- « نعم .. أكره السحر والسحرة وأشمئز منهم ، هل هذا يريحك ؟ »

- « أنت بين منكر للسحر ومتهيب منه .. وهذا كمن .... »

- « **أريد الذهاب حالاً أو الموت حالاً !!** »

كنت قد وصلت إلى نهاية تحمّلى .. وتذكرت مشاعر الطفل فى أول يوم من المدرسة : عاوز أروّح ! هذا هو كل ما يعيه من العالم .. لكننى كنت أختلف عنه بالتأكيد .. فالمدارس - مهما ساءت - ليست جانب النجوم .. كما أن المدرسين لا يشبهون (سيجفريد الأميدى) جدًا .. أنا فى عالم آخر .. عالم لن أخرج منه بمجرد أن أفتح الباب وأستقل أول سيارة أجرة ..

ثم إن الطفل يبكى لأنه يريد العودة إلى أمه ، فإلى من أعود أنا ؟؟

تُـرى هل أعيـش بعـد هـذه التجـربة ؟ هـل أحكيها يومًا ما ؟ أم أن هـذه هـى نهـاية ذكريـاتى وتجاربى ؟

سـمعت صراخًـا عنيفًـا وعويـلاً مـن مكـان مـا فتصلبت ، لكن (لوسيفر) قـال لـى وهـو يضـع سـاقًا على ساق :

ـ « هذا مصـاص دمـاء يحـاول العبـور إلـى العـالم الخـارجى .. هذا شىء مريع .. هناك بوابات سلسة كالتى جئت منها .. وهنـاك بوابات مخيفـة كالتى رأيتها فـى (هالماجيو) تحتـاج إلى قـدرات شيطانية لاجتيازها ، ولعل أكفأ من يستطيعون عبورها (فلاد الوالاشـى) .. ومن يجتزها من البشر يفقد عقله على الأرجح .. »

وبدأت الدماء تسيل من مكـان مـا .. وترتفـع حتـى صارت بحرًا يوشك أن يصل إلى ركبتى ..

قال (سيجفريد الأميدى) فى برود :

ـ « قد هلك الفامفيرى .. لم يتحمل .. »

وفى بحيرة الدماء راحت العيون التى تدحرجت من وجه (سانجينوس) تسبح كالأسماك .. وتطفو وتغوص كأنسا وجدت أخيرًا لحظات من المرح ..

قال (سيجفريد الأميدى) :

ـ « لم يبق إلا اثنان .. فمن منهما يحكى قصته ؟ »

قال (لوسيفر) وهو يربت على ركبتى بكفه الصلبة الصارمة الباردة :

ـ « يبقى هذا معى حتى النهاية .. إنه ضيفى .. وأنا به أسعد وله قلبى يطرب .. أما الآخرون فهم من أجله سعداء .. أوثر أن تتكلم المرأة .. »

تقدمت السيدة إلى الأمام وقالت وهى توجه كلامها إلى (لوسيفر) بالذات :

ـ « أنا (إليزابيث كراوفورد) .. هل لى أن أحكى قصتى ؟ »

قال (سيجفريد الأميدى) بصوته الشجع :

ـ « ابدئى السرد أيتها الفانيـة .. ولتعلمـى أن الكـذب خطيئتنا المفضلة ، لكنهـا لاتمنحـك فرصـة النجـاة .. لا أحد يكذب على سادة جانب النجوم .. »

ـ « لن أكذب يا سيدى .. لن أكذب .. »

وبدأت تحكى قصتها ..

* * *

الاعتراف السادس

من شفتى (إليزابيث كراوفورد)

انتقام

ـ ١ ـ

قالت (إليزابيث كراوفورد) :

ـ « الشر قاس .. لكن الجزاء قد يكون أكثر قسوة .. »

كنت أهيم حبًا بابنتى (غادة) ..

كانت رقيقة لطيفة لم تترب إلا على أجمل القيم فى الحياة وأنظفها .. وكان من يراها يشعر كأنما خلقت من فورها من فرط نضارتها وطهرها .. وكنت ثرية فلم أكف عن جعلها تشعر بأنها ملفوفة فى المخمل بعيدًا عن مخالب المجتمع الشرير ..

كنت أهيم حبًا بابنتى (غادة) ..

وكانت علاقتنا علاقة صديقتين تتجاوز بكثير علاقة أم بابنتها .. كانت تثق بى ، وتعرف أننى أستطيع عمل أى شىء لها بعد وفاة أبيها .. وتعرف أننى لن أتركها تتألم ..

ولهذا كنت مستعدة لعمل أى شىء لمن يؤذى شعرة من رأسها ..

والبداية كانت عندما ذهبت إلى (لندن) لتعمل فى تلك الشركة التى تقوم بتصميم الأزياء .. وكانت مراسلاتها معى تشى بسعادتها البالغة .. هناك كانت حياة جديدة مثيرة بالنسبة لفتاة فى مقتبل العمر .. وجوه جديدة لامعة .. نقود جديدة لامعة .. مشاكل جديدة لامعة ..

ثم ظهر (بيتر) وهو مدير تنفيذى بهذه الشركة .. فيه كل ما يجذب فتاة لا تعرف شيئًا عن الحياة ، وفيه كل ما ينفر أمًّا ويجعلها تتوجس خيفة ..

كانت خطابات (غادة) تأتى من (لندن) تحكى لى كل شىء عن (بيتر) هذا .. كم هو مهذب .. كم هو جنتلمان .. كم هو رقيق .. كم هو ذكى .. كم هو حبوب .. لقد عاهدها على الزواج وقدم لها خاتمًا ماسيًّا جميلاً ..

وأنا يا سادة امرأة واسعة الخبرة لم يتهمنى أحد بالحمق قط .. لقد أدركت على الفور الحقيقة التى لاشك فيها : هذا الفتى يخدعها .. وفى الغالب هو شيطان .. لاتوجد ملائكة على الأرض ، خاصة لو كانت ملائكة تجيد استعمال الحاسب الآلى ، وتعرف أفضل المطاعم فى (وست إند) ..

كنت كذلك أعرف جيدًا شعار الشاب الإنجليزى مع الفتيات :

Find them .. Feed them .. Love them.. Leave them..

أعثر عليهن .. أدعهن للعشاء .. أقم علاقة معهن .. تخل عنهن ..

شعار لابد أن (بيتر) يعرفه وينفذه حرفيًا .. أعرف هذا .. أوقن به .. وإلا فلماذا أشعر بهذا السكين ينغرس فى قلبى ؟ إن (غادة) ابنتى وأنا أعرف أن قلبها هو قلبى ..

طبعًا انتهت العلاقة بأن تركها (بيتر) .. لم

يتزوجا .. لم يحاول حتى تفسير موقفه .. وبالطبع كما لابد أنكم خمنتم انتحرت (غادة) بأن ابتلعت علبة كاملة من المنوم .. إنها كانت طفلة هشة لاتصلح لهذا العالم ، وقد تداعت نفسيتها على الفور عند الصدام الأول .. بينما يمكن لأية واحدة من صاحباتها .. لو حدث لها نفس الشىء .. أن تحول الموضوع إلى دعابة تحكيها على العشاء لصديقاتها .. أنا اخطأت فى تربيتها .. لم أجعل منها قط فتاة إنجليزية من العنيدات الصارمات اللاتى يملأن الطرقات ليلاً عائدات من العمل .. الفتيات الخشنات اللاتى لم يعد شىء قادرًا على إدهاشهن أو إثارة حزنهن ..

وهكذا رحلت (غادة) .. فلم تترك لى إلا رسالة قصيرة : سامحينى يا أماه ..

وذهبت إلى لندن لأرى جثتها فى المشرحة .. كان هذا جهدًا عصبيًا ، حتى إننى تحاملت على ذراع ضابط الشرطة الذى أخذنى إلى هناك ، وهززت رأسى ، ثم سقطت فاقدة الرشد على الفور ..

ومن تلك اللحظة عرفت أننى لن أعود أبدًا كما كنت .. عرفت أننى سأنتقم ..

ولكن كيف ؟ لست من الطراز الذى يذهب إلى (بيتر) هذا فى مكتبه لأفرغ المسدس فى رأسه .. لا .. لن أفعل .. هو لايستحق هذه الراحة السريعة ..

وهكذا يمكنكم الفهم .. لماذا استغرقت أكثر من عام حتى رسمت خطتى جيدًا .. كانت خطة محكمة لكنها قابلة للفشل لمجرد خطأ صغير ..

* * *

ـ ٢ ـ

كان البيت الذى أستأجرته فى ضواحى (لندن) منعزلاً تمامًا .. وقد اندهش السمسار الذى طلبت منه البيت حين عرف أننى وحدى .. قلت له إننى مجرد عجوز انطوائية أخرى لا تعبأ بالجيران ..

قال لى فى كياسة :

ـ « حسن يا سيدتى .. أكره أن أفسد صفقة على نفسى، لكن الضمير يحتم على أن أقول عن هذا البيت هو الانعزال بذاته .. لا أحد يمر هنا .. لن ينقذك سوى الهاتف لو حدثت متاعب ما والهاتف يتلف كأى شىء آخر .. »

قلت له فى رضا :

ـ « أنا أعرف تمامًا ما تعنيه لكننى اتخذت قرارى .. »

وهكذا صار البيت لى بثمن زهيد .. كانت ألواح الخشب محطمة وكذا زجاج النوافذ ، وكان الأثاث قليلاً ورثًا لكن الإقامة هنا لم تكن ضمن خططى ..

بعد هذا جاء دور إحضار (بيتر) إلى هنا .. لم يكن هذا سهلاً لأن الرجل مشغول ، وما من قوة تحمله على مغادرة (لندن) والمجىء إلى هنا إلا القوة! نعم .. لا بد من إرغامه على هذا .. وقد سألت أحد المخبرين الخاصين عن بلطجية ممن يأخذون المال ، ولا يسألون أسئلة .. وقد أوصانى باثنين من المهاجرين هنا فى (لندن) ، وكانا حذرين لا يتعاملان إلا بالخطابات .. وكان لهما رقم هاتف سرى لا يعرفه إلا من يعرف شخصًا يعرف أحد عملائهما ..

طبعًا هم يتقاضون نصف المبلغ مقدمًا ، ويقومون بالمهمة ويأخذون النصف الآخر عند إتمامها ..

أخبرتهما بصفات الرجل ، فضربوا لى موعدًا عند المساء قرب الضاحية التى أقيم فيها ..

وفى الموعد المحدد كانا هناك ، وكنت ألبس منظارًا أسود وإيشاربًا على سبيل التمويه .. وقد سألانى أولاً عن المال .. طبعًا لم أكن لأجرؤ على التلاعب معهما لأن هؤلاء القوم نوع من الوحوش المفترسة التى لايمكن التعامل معها إلا بمنتهى الحذر .. لم يظهرا دهشة لأن سيدة عجوزًا مثلى تهتم بهذه الأمور .. فقط فتحا لى حقيبة السيارة الخلفية وأخرجا الجسد المكمم المقيد الغائب عن الوعى ..

ـ « خذى الحذر يا سيدة .. سيفيق خلال نصف ساعة .. أين نضعه ؟ »

كان مخدرًا ، وقد طلبت منهما أن يضعاه فى حقيبة سيارتى الخلفية ، ثم ودعتهما وأدرت محرك سيارتى مبتعدة .. وعند أول منعطف توقفت .. انتزعت الإيشارب والمنظار ، ودرت حول السيارة لأنزع اللاصق الذى يحمل الأرقام المزيفة .. نعم .. هذان وغدان قد يعمدان إلى الابتزاز .. أو ـ إن كانا شريفين ـ يقعان فى يد الشرطة ويثرثران عن السيدة التى اختطفت مديرًا تنفيذيًا شابًا ..

واتجهت إلى البيت الجديد وقلبى يخفق طربًا ..

★ ★ ★

كان الوغد وسيمًا بالفعل ، لكنها تلك الوسامة التى تدل على قسوة ونرجسية هائلة .. صاحب هذا الوجه لايمكن أن يُحِب إنه فقط يحب أن يُحبَّ .. لكن من قال إن (غادة) يمكن أن تلاحظ هذه الأمور ؟ ماذا تعرفه هذه الطفلة عن الحياة ؟

إنه وغد .. بالإضافة إلى هذا هو ثقيل كالخراتيت .. وقد عانيت أشد المعاناة وأنا أجره إلى الطابق السفلى .. ثم وأنا أدحرجه على درجات السلم ، ثم وأنا أمدده على أرض القبو ، وأحكم ربط القيد على كاحله .. ثم فككت قيوده ونزعت كمامته ..

الآن بدأ يفيق ..

كنت خائفة من نقطة واحدة هى هل تتحمل السلسلة ؟ لكنى كنت أعرف أننى أحكمت تثبيتها وأن الحداد الذى صنعها لى حاول كثيرًا أن يجذب السلسلة من مكانها لكنه فشل ..

ونظرت حولى .. كنت قد فتشت جيوبه بعناية فلم أجد شيئًا يمكن أن يستعمله لفتح السلسلة ولا القيد .. لم يكن حوله شىء يصلح .. القبو فارغ تمامًا إلا من وعاء الطعام ووعاء الماء ، والدلو الصغير الصالح لقضاء الحاجة ..

بدأ يفيق .. ولم يكن من الطراز التقليدى الذى يقول : أين أنا ؟ بل نهض وفرك عينيه وتحسس القيد فى كاحله .. نهض مترنحًا ومشى نحوى ، لكن السلسلة انتهت .. وكنت أنا على بعد متر من آخر نطاق لها ..

قال بلهجة عملية :

- « حسن يا سيدتى .. لقد انتهى المزاح .. فكى قيدى هذا .. »

قلت له فى برود وأنا أجلس على مقعد قديم :

- « يؤسفنى أنك لا تفهم ما يدور هنا !! »

صاح فى ضيق وهو يحاول فك السلسلة :

ـ « لو كنت تريدين فدية فقد أخطأت الطريق .. »

قلت فى برود :

ـ « أنا لا أريد فدية .. بل لا أريد شيئًا على الإطلاق .. »

ثم أشرت إلى وعاء الطعام ، ووعاء الماء وقلت له :

ـ « أنت حر الحركة إلى حد ما .. لهذا يمكنك أن تأكل وتشرب كما تريد .. والآن وداعًا ! »

ـ « ماذا تريدين منى أيتها المخبولة ؟ »

ـ « أريدك أن تموت طبعًا .. حسبت هذا مفهومًا .. »

صرخ بأعلى صوته طالبًا الغوث .. لكنى وقفت أبتسم .. نصف ساعة كاملة وهو يصرخ حتى تلاشى صوته تمامًا .. فقلت له :

ـ « لو كنت تفكر قليلاً لعرفت أنه لو كان بوسع أحد سماعك هنا لقمت بتكميمك .. »

هنا وثب إلى إناء الطعام ، ورفعه بيديه وهوى به فى اتجاهى .. كان تصويبًا متقنًا لكن السلسلة منعته

من أن يحسن التصويب الأخير الفعال .. وسقط الوعاء بقربى وتناثر ما كان فيه من طعام جاف ..

قلت له فى ضيق وأنا أجمع الطعام المتناثر :

- « كف عن الحماقة .. لو حدث هذا وأنا لست هنا لقضيت جوعًا .. »

ثم تناولت العصا الخشبية ودفعت بها إناء الطعام إلى متناول يده ..

هنا انقض كالفهد على العصا وحاول انتزاعها لكنه صرخ .. وفتح كفيه فإذا بالدم يسيل منهما فى غزارة .. إن الأحمق لم ير كل المسامير التى غرستها فى العصا على طولها بحيث يبرز طرفها المدبب .. لم أضيع كل الوقت الذى أضعته سدى ..

قلت له وأنا أتهيأ للرحيل :

- « والآن وداعًا .. »

صاح من جديد :

- « إلى أين أيتها المخبولة ؟ هلا شرحت لى ما يدور ؟ »

كان من الممكن أن أشرح له ، لكنى آثرت أن أتركه لعذاب عدم الفهم .. عذاب المحكوم عليه ولا يدرى ماذا اقترفه ..

وأغلقت البيت بعناية ، واتجهت إلى المطار .. ومن هناك طلبت المصرف ، وتأكدت من أن أقساط الضرائب على البيت ستدفع باستمرار طيلة سفرى ..

كنت ذاهبة فى رحلة طويلة إلى مصر وباقى بلدان الشرق الأوسط ..

* * *

لن يلبث أن يكتشف أننى لن أعود ..

لن يلبث أن يكتشف أن الصراخ لا جدوى منه ..

لن يلبث أن يكتشف أن الطعام والماء لن يكفياه إلا شهرًا لو اقتصد ..

سيموت من الذعر شهرًا ، ثم يموت من الجوع والظمأ بعد هذا .. كنت راضية عن نفسى ، وللمرة الأولى شعرت بلذة منذ ماتت (غادة) ..

لكن متع الحياة لا تكتمل ..

مر عام عليَّ ، وكنت في (تركيا) أطالع بعض الجرائد البريطانية القادمة من الوطن ، فاستوقفت نظراتي مقالة عن الجرائم التي فشل رجال (سكوتلانديارد) في استكشافها ..

كانت هناك حادثة اختفاء غامضة .. شاب من شركة لتصميم الأزياء اسمه (بيتر أندرسون) .. هذا الفتى اختفى منذ عام تقريبًا وكأنما تبخر ، ومن الغريب أنه بلا أعداء على الإطلاق ، وزوجته وطفله الآن لا يعرفان أين هو ولا إن كان حيًّا أم مات ..

زوجته وطفله ؟ (بيتر) الذي خدع (غادة) لم يكن متزوجًا ..

كان اسمه ـ الذي لا أنساه ـ (بيتر هايمان) .. ما معنى هذا ؟

وهنا سقطت الجريدة من يدي ..

القصة تتضح الآن .. لقد أخطأ البلطجيان اللذان

استأجرتهما الشخص المطلوب .. خطفا أول (بيتر) فى شركة الأزياء وجلباه لى .. ولم تكن معه أوراق، ولم أترك له أنا فرصة الشرح .. لو كنت حكيت له القصة وقتها فلربما عرفت أنه ليس هو ..

عام قد مضى ! يا للهول ! عام قد مر على رجل برىء سجين بلا طعام ولا شراب ..

عام قد مضى وكنت أنا السبب ..

بينما الوغد الحقيقى يمرح الآن ويخدع فتاة أخرى فى مكان آخر ..

* * *

أصابنى المرض بضعة أيام، ثم قررت أن أنهى زيارتى لتركيا وأعود إلى الوطن .. يجب أن أنفذ انتقامى، ثم أسلم نفسى للشرطة، وأتلقى عقابى الذى أنا جديرة به ..

لكن حوادث السيارات تقع فى تركيا مثل أى بلد آخر، وقد انقلبت بى السيارة على الطريق، وسقطت فى هاوية على جانب الجبل لأنزف دمًا كثيرًا جدًّا ..

ولم أعرف أن هذه الهاوية كانت ثغرة مفتوحة وجاهزة للعبور إلى جانب النجوم الرهيب ..

لم أعرف هذا إلا الآن وأنا أقف أمام هذه المحكمة الرهيبة أحاول أن أنقذ عنقى ..

* * *

قال (لوسيفر) بعد سماع القصة :

- « هذه قصة أم مطعونة .. لا أرى فيها من الشر الكثير .. لأن الانتقام يمكن فهمه إلى حد ما .. »

تراجعت المرأة إلى الوراء ، وقالت فى ثبات :

- « لست راغبة فى خلودكم هذا على كل حال .. »

فى ثبات مماثل قال دون أن ينظر لها :

- « ولن تناليه .. والآن يجىء دور الدكتور (إسماعيل) .. »

ثم نظر لى ونظر إلى (فلاد الوالاشى) الضخم كالكابوس ، وقال فى تؤدة :

- « من المحبب للنفس أن تعلم أن هذا الفانى كان سبب فشل (فلاد الوالاشى) - هو الذى يمشى فى الظلام - فى

اختراق الثغرة إلى (إنفرنوس) التى كانت (هلماجيو) .. وإننى لأعلم أن الانتقام مشتهاك يا (فلاد) .. لكنى أطلب منك التريث حتى نسمع قصته .. »

أطلق (فلاد) عواء مريعًا من فمه ، مما جعل جدران القاعة التى لا أراها تترجرج ، وسرنى أن أعرف أننى المقصود بالعواء هذه المرة .. هذا شخص لن يجدى معه التفاهم بالعقل ، أو أن أزوره مع كبار أسرتى متحدثًا عن أن له (حق عرب) ، أو أن أحمل له الكفن على يدى ..

قال لى (لوسيفر) باسمًا :

هلم احك لنا شرورك يا دكتور (إسماعيل) .. »

قال (سيجفريد الأميدى) بصوته الجشع :

ـ « ابدأ السرد أيها الفانى .. ولتعلم أن الكذب خطيئتنا المفضلة ، لكنها لاتمنحك فرصة النجاة .. لا أحد يكذب على سادة جانب النجوم .. »

ـ « أنا لم أعتد الكذب أصلاً .. »

وبدأت أحكى قصتى ..

* * *

الاعتراف السابع

من شفتي (رفعت إسماعيل)

الجريمة الكاملة

قلت لهم :

ـ « الشر هو الشر .. والجريمة هى الجريمة .. »

★ ★ ★

برغم أن الكثيرين يعتبروننى ملاكًا فإننى كنت وغدًا نجح فى ألا يبدو كذلك ..

فى سن السابعة اعتدت أن أخدع زوجة خالى .. كانت تعد لى الحمام ، وتطلب منى أن أستحم بنفسى .. ولم يكن لديها سخان فى هذا الزمن البعيد لذا كانت تسخن الماء فى إناء كبير ، وعلى أن آخذ الماء منه بالكوز ، ثم أخلطه ببعض الماء البارد من الصنبور ، وأصبه على جسدى ..

ولما لم أكن راغبًا فى الاستحمام فى هذا الجو البارد ، اعتدت أن أسكب الماء الساخن بالكوز فى البالوعة ، ثم أبلل شعرى بمياه الصنبور ، وأخرج من الحمام لاهثًا أرتجف وأقول لها إننى استحممت .. صحيح أنها تلاحظ الغبار على أذنى والحبر على كفى ، لكنها تبرر ذلك بأننى لا أجيد الاستحمام جيدًا كأى طفل آخر ..

هذا نوع من الجرائم الكاملة .. الجرائم التى يستحيل إثباتها ..

فى نفس الفترة اعتدت أن أتسلل للمطبخ بعد نوم الجميع ، لأتسلق النملية العتيقة هناك ، وأفتح مرطبان المربى ، وآخذ ملعقتين كبيرتين أدسهما فى فمى ، ثم أعود إلى الفراش متظاهرًا بأن شيئًا لم يحدث ..

وحين لاحظت زوجة خالى أن المرطبان ينفد بسرعة اتهمت ابن خالى (عماد) بأنه يتسلل ليلاً إلى هناك ..

هذه جريمة أخرى لم يستطع أحد إثباتها ..

إن هناك جرائم كاملة كثيرة تحدث من حولنا لكن أحدًا لا يعرف هذا ..

وفى سن العاشرة .....

ـ « كفى ! »

كانت هذه من (لوسيفر) الذى لم يعد يتحمل سيل الاعترافات الرهيبة هذا ..

* * *

قال د. (لوسيفر) فى ضيق :

ـ « كنت أعرف ماستقوله .. الهراء هو ما تقوله .. وأرى أننا نضيع وقتنا معك هاهنا .. »

قلت له فى أمل :

ـ « إذن حان وقت قتلى؟ أريد الانتهاء من هذا كله .. »

نظر (لوسيفر) فى اشمئزاز إلى الستة الواقفين ينتظرون الحكم النهائى عليهم ، وقال لـ (سيجفريد الأميدى) بلهجة لا تقبل المناقشة :

ـ « هؤلاء استحقوا ما يحدث لهم .. هم حق مشروع لـ (روكيان الأماسى) ! فليظفر بهم ! »

تصايح الجميع فى هلع .. ركعت الفتاة الفرنسية باكية على ركبتيها وهتفت :

ـ « أيها السيد .. أنت عرفت أننى كنت أشر الأشرار .. »

ولطمت (جين) خديها صائحة :

ـ « أنا ساحرة .. ألا تفهم معنى هذا ؟ »

وصاح النازى المتقاعد وهو يضرب صدره بقبضته :

ـ « أنا حولت البشر إلى مسوخ ! أليس لهذا ثمن فى عالم البشر هذا ؟ »

وقال الرومانى مذهولاً :

ـ « والدببة ؟ وكل من التهمتهم ؟ أنا السبب فى جنون (كاليجولا) .. »

بينما قال الفتى الإنجليزى (جون بارتريدج) :

ـ « لاتقل إنك اخترت حكايات هذه الفزاعة الصلعاء التى لاتملك قصصًا أشر من سرقة المربى .. أنت وعدتنا أيها السيد أن أكثرنا شرًّا ينجو .. »

مبتسمًا فى غموض قال (لوسيفر) وهو ينهض من مكانه وينظر لساعته الذهبية :

ـ « فى جانب النجوم أنتم .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. »

ـ « ألا تصدقوا الوعود .. ليكن هذا درسكم الأخير فى جانب النجوم .. الكذب هنا هو القانون الأول .. والقانون الثانى أن القتل هو الابن الشرعى للسأم .. وأنا لم أعد أطيقكم .. »

وعلى الفور نزل (روكيان الأماسى) من مكانه الشامخ .. كان ارتفاع قامته لا يقل عن ثلاثة أمتار .. والوجوه التى تلتحم فى كل شبر من جسده تتلوى فى مزاج من الولع والألم والتوحش والنشوة .. ذيل الثعبان العملاق المتدلى من مؤخرته يضرب الأرض مرارًا .. ومن فمه خرج لسان ثلاثى الفروع يبحث عن فريسة ..

كان هناك الكثير من الصراخ ، بينما هذا الغول يفترس الضحايا بلا ترفق ولا آداب مائدة .. كما أنه ـ للأسف ـ لم يكن ممن يلتهمون الطعام بسرعة .. كان بطيئًا كالعدالة ..

★ ★ ★

- « أما الآخرون فسوف يصيرون جزءًا من جسد (روكيان الأماسى) .. وهى نهاية أفضل منها الموت بأنياب ألف ذئب .. »

* * *

قطرات دم انتثرت على ثيابى ووجهى فأدرت ظهرى للمشهد الرهيب ، وأنا أرتجف ..

قال (لوسيفر) وهو لا ينظر للوراء :

- « لقد ماتوا لكن أجسادهم صارت جزءًا من كيان (روكيان الأماسى) .. لابد أنه التهم ألف شخص كى يصنع جسده .. هم بأشخاصهم ماتوا وفروا من جانب النجوم ، لكن مكانهم ينتظرهم فى جهنم .. »

ومن مكان مادوى صوت (فلاد الوالاشى) يتلمظ :

- « إلى بهذا الفانى كى أمزق أشلاءه ألف قطعة .. ولسوف تنعم بها كلابى ذات الرءوس المائة ! »

صمت (لوسيفر) قليلاً ثم قال دون أن ينظر لأحد :

ـ « بالعكس أى (فلاد الوالاشى) .. الفانى استحق حريته واستحق أن يغدو من سادة جانب النجوم .. إنه منكم ومنا ! »

يا نهار اسود ! عم يتكلم هذا الرجل ؟ ماذا يريد بالضبط ؟ هل يريد القول إننى أنا الفائز فى هذه المسابقة ؟ كيف ؟ لكنه لا يمزح ، ولم تهتز عضلة فى وجهه توحى بالمزاح أو الخداع ..

لما رأى دهشتى قال بصوت الببر الشبعان الراضى عن الحياة :

ـ « حقًا أشر الموجودين أنت .. كلهم اعترف بجرمه وعرفه بينما التزمت أنت الصمت .. لعبت دور الطاهر الذى لم يقترف إثمًا أدهى من خطايا الأطفال ! وما أتفه خطايا الأطفال ! الآخرون عن الدم تكلموا .. عن السحر والقتل تكلموا .. بينما عن المربى تكلمت أنت .. والأدهى أنك تصدق نفسك .. قد قلت لك آنفًا : من أخطر الأمور ألا تعرف آثامك .. أن يملأ الكبر نفسك فتتشدق : أنا لم أقترف إثما .. إن فى حياتك آثامًا أنت أدرى بها منى ..

العميان لا يرون الشمس لكنهم يدركونها .. وأنت لست كفيفًا ولا غبيًا .. فقط أنت مغرور يخدع نفسه .. ولعمرى هذا هو الشر الذى يروق لى .. »

ثم نظر إلى سادة جانب النجوم وهتف :

- « إن الدكتور (رفعت) سيبقى معنا ! »

صحت أنا وكل خلية فى جسدى ترتجف :

- « هذا لن يكون ! اقتلنى الآن فورًا ! فليتسل الأخ (روكيان) بالتهامى إذا لم يضايقه نحولى ! »

كأنما كان يعرف أننى سأقول هذا ، قال (لوسيفر) وهو يعود للجلوس فى الفراغ :

- « كما فى كل لقاء لنا أتركك لحالك .. أتركك وأنا قادر على ألا أتركك .. أنت حر تمضى أنّى أردت فلن يجسر أحد على منعك .. لقد قلت كلمتى ولم يوجد فى جانب النجوم من لا يطيع كلمة د. (لوسيفر) .. لكنى إذ أتركك أوقن أننى فى أحشائك منحتك ذكرى لن

تنساها ما حييت .. ذكرى الخوف .. الهلع .. الإشفاق .. الوجل .. ذكرى كل هذا الشر الذى قابلته فى مكان واحد .. لسوف يطاردك فى كل حلم ، ووراء كل منعطف ، وفى كل قدوم ليل .. لسوف تمضى حياتك تتذكر (فلاد الوالاشى) وتتساءل متى يجىء لينتقم منى؟ ومع الخوف ألم أكثر إيلامًا : الخجل .. لا تحسب أنك الملاك الذى حسبته أنت ! »

ثم هتف مناديًا الحراس :

ـ « أعيدوه إلى حيث كان !! »

ولم أدر إلا والحراس مقطوعو الرأس يحيطون بى ويحملوننى حملاً خارج القاعة التى لا جدران لها ..

ومن جديد صحت وهم يحملوننى :

ـ « د. (لوسيفر) .. من أنت حقًا ؟ »

اعتدل فى جلسته وقال فى مكر :

ـ « ما أحسبك إلا تعرف لكنك تخشى أن تعترف بأنك تعرف .. عساك تظفر بالنوم ليلة أخرى .. »

- « هل ستتركنى وشأنى ؟ »

- « بالطبع لا .. فأر وقط هما أنت وأنا .. فلن ينجيك منى إلا القبر .. الفرار من د. (لوسيفر) لايكون إلا لأسفل أو لأعلى ! حافظ على نفسك من أجل لقائنا التالى ! »

- « سأحاول لكنى - كالعادة - لا أعدك بشىء ! »

★ ★ ★

وحين فتحت عينى كنت فى سيارتى ، وكنت أرى الآن الوادى الذى أغرقته مياه الأمطار ليلاً ، يستحم فى نور النهار الوردى البكر ..

هل كان هذا حلمًا ؟ لا أظن .. ما زال إصبعى يؤلمنى حيث جرحته بالدبوس .. وما زالت الكدمات على ساعدى من جراء قبضات الحراس القوية ..

والبيت المجهول ؟ لم يعد هناك .. هذا طبيعى .. لن يتركوه لى كى أجرب العبور من جديد أو أحضر

من يجرب .. هناك ثغرة موجودة هنا بالتأكيد لكنهم أحسنوا إخفاءها ..

أدرت محرك السيارة بعقل مخدر .. إنه يدور .. لابد أن نوم الليل قد أفاد المحرك كثيرًا ..

فقط أدعوا اللّه ألا يتسبب ذهنى الملبد الضبابى فى حادث أليم .. لا أريد أن أغادر جانب النجوم إلى المشرحة مباشرة .. لابد من وقت أتأمل فيه وأتذكر ما حدث بالضبط ..

« كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .. تعلمت هذا منذ نعومة أظفارى ، وما كنت بحاجة إلى كل غيلان جانب النجوم كى أعرفه ..

لكنى كنت بحاجة إليهم كى أتذكره !

إن الغرور يتسلل إلى قلب المرء ـ كما يتسلل الحقد والنسيان والكوليستيرول ـ دون أن يدرك هذا .. ولو سألت ألف إنسان عن عيوبه ، لقال لك : عيوبى أننى أثق بالناس أكثر من اللازم ، أو أننى صريح أكثر من اللازم .. الخ ..

وتتساءل : من أين يجيء اللصوص والقتلة والزناة والمرتشون إذن ؟

لايتساوى الغرور مع كل ما سمعت فى جانب النجوم من فظائع ، لكن د. (لوسيفر) ـ وهو يعرف ما يقول ـ وجد أننى أجدر هؤلاء البؤساء بالبقاء مع سادة جانب النجوم !

لابد أنه كان يمزح .. لابد أنه كان ينتقم .. لابد أنه كان يعابثنى أو يلقننى درسًا قاسيًا ..

....

وربما كان يعنى ما يقول ..

وأخذت شهيقًا عميقًا وأنا أرمق الطريق الراكض أمامى ، وقد بدأت مدينة (...) تلوح من بعيد بعد ما طالت رحلتى إليها إلى هذا الحد ..

ربما كان علىّ أن أعرف نفسى أكثر ..

* * *

كانت هذه رحلتى إلى جانب النجوم ..

لقد نجوت من المعركة ، لكنى لم أنج من الحرب ..

وكانت هناك حلقات رعب أخرى سمعت وخبرت فيها عوالم أخرى من الجانب المظلم من القمر ، كما يقول د. (لوسيفر) فى أحد تعبيراته الشعرية التى يحبها كثيرًا .. عوالم أعرف أنها موجودة لكنى لم أعرف أية تفاصيل عنها إلا حين ارتدتها ..

ولكن هذه حلقات أخرى .

* * *

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

(د . رفعت إسماعيل)

مع القراء

أصدقائى ..

تأخر المؤلف كثيرًا فى إعادة موقع (رفعت إسماعيل) إلى الحياة ، والسبب هو الخجل لا الكسل ! لأن الكثير من قراء روايات مصرية للجيب قد أنشئوا مواقعهم عالية الاحترافية ، وبعضها جدير بأن يكون موقعًا رسميًّا للمؤسسة ، وهم يبذلون فى التصميم والتحديث جهدًا خرافيًّا مجانيًّا لا يدفعهم له إلا أنهم - ببساطة - يحبون ما يفعلون ..

سأنشر هنا بعض المواقع التى أدعوكم لزيارتها ، وأرجو ألا تكون الذاكرة قد خانتنى ونسيت شيئًا ، كما أرجو ألا تخذلنى المطبعة :

Http :// i.am/refatismail

هـذا موقـع مخصـص بالكـامل للعجـوز (رفعـت إسماعيل) .. وقد صممـه الصديـق (حسن عفيفـى) .. إن (رفعت إسماعيل) يستحق موقعًا خاصًا أو اثنين ، فـ (بريتنى سبير) لا تتفوق عليه فى شىء !

Http :// www.storiesworld.8k.com

موقع عالم الروايات ، وهو موقع متكامل .. ومصممه (عبد اللّٰه إيهاب) قد بذل فيه جهدًا ملحوظًا ..

Http :// www.rewayatnet.net/

شبكة روايات للحوار .. هنا تستطيع أن تبدى رأيك وتقرأ آراء الآخرين حول روايات مصرية للجيب ، هـذا موقع بالغ الأهمية للمؤلف ، ويدخله بانتظام - وتوجس - كى يعرف أخطاءه ، بعد ابتلاع قرص مهدئ طبعًا !

Http :// www.rewayat.com

هـذا موقـع شـقيق للسـابق لـه . ومن تصميم نفس الصديق ، وهو عبارة عن موسوعة شاملة للروايـات وأخبارها وأخبار مؤلفيها .. وحتى المؤلف عرف الكثير

عن نفسه وحياته الشخصية حين زار هذا الموقع !
يذكرنى هذا بجورج لوكاس مؤلف ومخرج (حرب الكواكب) الذى يقول إنه كلما احتاج إلى معرفة شىء عن أبطال قصته ، يزور مواقع الهواة على الإنترنت .. فهم يعرفون أكثر منه بمراحل !

بالإضافة لهذا قام مصمم الموقعين (هانى رمزى) بابتكار واق للشاشة Screensaver متقن جدًّا باستخدام برنامج (فلاش) ، وهو فى مجموعه أقرب إلى (تريلر) فيلم مثير تلعب فيه الموسيقا دورًا فعالاً ..

يمكنك العثور على صفحة ما وراء الطبيعة بسهولة ، أو إذا أردت الوصول مباشرة :

Http://geocities.com/rewayat/s_Ma_Wara_al_Tabi 3a. htm

هذا هو ما وجده المؤلف بين علامات كتبه (بلغة نتسكيب) أو المفضلة لديه (بلغة إكسبلورر) .. ولسوف أنشر أكثر فى الكتيبات القادمة إن شاء اللّه .. ومن جديد أشكركم على هذا الاهتمام ..

الآن نبدأ فى قراءة خطاباتكم ، وهى المجموعة الأخيرة لهذا الصيف غالبًا ، لهذا سنحاول أن نجيب عن عدد أكبر .. ردودًا أطول .. بشكل أمتع ! ولا أدرى كيف يصير هذا ممكنًا !

● الصديقة / شيماء (؟) ـ الإسكندرية :

خطاب رقيق جدًا أرجو أن أستحق ربعه .. (شيماء) طالبة طب ، وهذا هو على ما أعتقد خطابها الأول الذى يصل ليدى ..

شكرًا يا (شيماء) وبانتظار المزيد ..

● الصديقة / شيراز محمد ـ المغرب :

مازلت مصرًا على أن (شيراز) اسم جميل ، برغم ما ارتبط به فى (أسطورة البيت) . (شيراز) فى السادسة عشرة من عمرها ، تعيش فى الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمغرب ، وتدرس العلوم ..

(شيراز) تحب قصصى لكنها راغبة فى الانضمام لنادى (أعداء أسطورة الغرباء) ، لأنها أصابتها

بالدوار كما تقول .. وهى كذلك متحمسة للنهايات المفتوحة والقصص متعددة الرواة ، التى يحكى فيها كل واحد الموقف من وجهة نظره ..

شكرًا يا (شيراز) على هذا الخطاب الجميل ، ورمضان كريم كما تقولين فى نهاية خطابك !

● الصديق / محمد العربى ـ حلوان :

(محمد) طالب طب .. له اسم طويل جدًا لا بأس به أبدًا (سبعة أسماء) .. وقد اكتشف السلسلة فى المكتبات العامة ..

المهم أننا نعرف بعضنا جيدًا الآن .. ويبدو أنك من طرازى كما تقول على الأقل من ناحية الحظ .. مرحبًا بك فى النادى كما يقول الأمريكيون ..

عيوبى كما يراها (محمد) هى : (أسطورة الغرباء) ـ التأخر فى الرّد على القراء ـ عدم الوفاء بالوعود أو التأخر فيها ـ أسلوب التشويق الذى يجعل الأصدقاء مترقبين دائمًا ـ قلة الإصدارات ..

أعترف بالعيب الثانى والثالث ، وليس الخامس ذنبى ، والرابع شرف لا أدعيه .. أما الأول فهو مجرد محاولة للدعابة جاءت ثقيلة نوعًا ..

لم أحب طب العظام قط لهذا لاتسألنى عن رأيى فيه ، وأما عن رغبتك فى العمل دبلوماسيًّا ، فطريقه طويل لايبدأ بالتأكيد بكلية الطب .. لابد أنك دخلت الباب الخطأ ..

أعتذر ـ كالعادة ـ عن الخطاب الشخصى يا (محمد) ، لأننى أفضل النوم تحت عجلات قطار على كتابة خطاب .. هذا غريب لكنه صحيح ..

● الصديق / صلاح الدين مصطفى :

خطاب جديد جدًّا جدًّا .. والسبب هو أنه هبط إلى قاع الصندوق ..

استكملت (الكاهن الأخير) فى قصة (النافاراى) ، كما أن الكاهن الأخير ظهر مرتين فى الكتيب رقم (14) ، (44) .. وكلاهما (رجل) فى العنوان !

● الصديقة / هبة برعى ـ الزقازيق :

(هبة) طالبة فى كلية التربية قسم اللغة العربية ..

كانت فى سنة التخرج وقتها ، وأظنها الآن معلمة .. وتقول إنها كانت تريد كتابة هذا الخطاب منذ أربعة أعوام .. واضح أنها من الطراز المتحمس العجول مثلى ..

خطاب (هبة) حميم تتحدث فيه عن نفسها وأحلامها ، ولا أجد فيه أسرارًا ، لكنى ـ بصراحة ـ أصبت بعقدة من خطابات الآنسات ، لأنهن يعتبرن نشر أى جزء تعديًا على الخصوصية ..

لا أجد شيئًا غير طبيعى فى عشق الرعب .. أعتقد أنه فطرة .. وكل الأطفال يعشقون القصص المخيفة .. لاحظى الطفلة الرضيعة حين تدغدغها أمها بأسنانها قائلة : لسوف آكلك أكلاً ! عندها تصرخ الطفلة رعبًا واستمتاعًا ونشوة معًا .. لاحظى وجوه النازلين من القطار الأفعوانى فى الملاهى والخارجين من بيت الأشباح ..

شكرًا على النقد التفصيلى للكتيبات .. وشكرًا على إعجابك بأسطورة (النافاراى) ، فهى محاولة لنقل عالم سريالى من الهلاوس إلى الورق .. (قوبلاى خان) ملك مغولى خلدته قصيدة إنجليزية شهيرة ..

خطاب جميل مجامل يا (هبة) ، وقد قرأته بالتفصيل ، وبانتظار المزيد .

● الصديق / تيمور السيد محمد ـ (من أين ؟) :

كالعادة فقدت المظروف فى عملية تنظيف خرقاء لمكتبى ، لكن (تيمور) مصرى فى الخامسة عشرة من عمره .. له بعض المآخذ علىّ ..

أولاً : يقول إن هناك أخطاء مطبعية كثيرة ، وهذا صحيح ، ولسوف أنشر تصحيحًا فى كل كتيب للكتيب السابق أو هذا ما أنويه .. لكن المثال الذى ذكرته (أننى طبيب باطنى) ليس خطأ مطبعيًا .. أمراض الدم تقف على الخطوط الفاصلة بين الأمراض الباطنية وعلم الباثولوجيا الإكلينكية .. أى أنه لاتعارض هنالك ..

لا أفهم وجهة تعارض القصتين (34 ، 35) مع الدين ؟ أرجو أن تفسر ..

لو قرأت (أسطورة فرانكنشتاين) بعناية ، لوجدت أن (بيتر فرانكنشتاين) هو حفيد (فكتور فرانكنشتاين) ..
من الواضح (فى الكلمات السبع) أن مجرد ترديد الكلمات يستدعى الوباء .. موضوع ناحية القمر هذه تضفى لمسة ميول درامية على الأمر ..

أنا سعيد بهذه الاعتراضات لأنه من الواضح أنك

تقرأ بعناية شديدة .. وهذا يسرنى طبعًا ، كما أنه يجعل المؤلف أكثر حذرًا ، فلا تقطع خطاباتك أبدًا ..

● الصديق / تامر ممدوح شفيق ـ القاهرة :

رأى مهم جميل سأرسله إلى (فانتازيا) ، أما عن عدم تكرار أسلوب القصاصات ـ كما فى (الغرباء) ـ فهو آت حتمًا .. الفكرة هنا هى التجديد الدائم .. حتى التجديد المستمر قد يصير مملا ، وتحتاج إلى تجديده بالتوقف عن التجديد لفترة !

ليست (سافارى) مهتمة بما وراء الطبيعة ، لكن أحيانًا تصلها مغامرة من هذا النوع .. هل تقول لا إذن ؟

صفحة الإنترنت مغلقة حاليًا للتجديدات ، وقد تكلمت عن هذا فى بداية هذه الردود .. ألم تقرأها يا رجل ؟ إذن لماذا تسأل الآن ؟!!

على كل حال عنوان الـ E - mail المناسب الجديد هو : aktowfik@ excite . Com

لاحظ أن الحرف الرابع هو (O) .. حرف (واو) .. لا كما يعتقد البعض أنه (ألف)..

بخصوص التوقف حين ينبغى التوقف ، أرجو أن

يهدينى اللَّه إلى اللحظـة المناسبة ولا استمر لمجرد الاستمرار .. كما تعرف كنت أنوى التوقف عند الكتيب الخمسين ، لكن (ما وراء الطبيعـة) مازالت تحمل الاستمرار أكثر .. مازالت هنـاك قصص لابأس بها سأموت كمدًا إن لم أحكها ..

معلومتك عن عيد الميلاد والكريسماس أبقيها للكتيب الذى أدخره لمعلومات القراء أو تصحيحاتهم .. ولى ردّ لابأس به ..

قائمة الكتب التى تطلبها تحتاج إلى بعض الوقت لإعدادها ، وعلى كل حال أنا أنتظر منك رسائل أخرى يا (تامر) ،كما أن البريد الإلكترونى جعل الخطابات سهلة بحق .. لن تبحث عن مظروف وطابع فلاتجدهما ، من ثم يظل الخطاب معك ثلاثة أشهر إلى أن يضيع !

● الصديق / إبراهيم حسن :

هذا خطاب حديث جدًا .. ماذا حدث لى ؟

روايات مصرية للجيب كانت تصدر بمعدل ست روايات فى السنة ، حين ظهرت أنا إلى الوجود .. أى أننى لم أحضر قط أيام كانت تصدر شهريًا .. كما أن السنة الدراسية تمددت واستطالت حتى قضت على شهرى مايو وسبتمبر ..

(إبراهيم حسن) يؤكد أنه صاحب الخطاب المجزأ ، وأنه (حسن) لا (حسنى) وماله يا (إبراهيم) ؟ كلكم حبايبنا ..

لن أسخر من كلية الزراعة طبعًا ، لأننى لست تافهًا رائق المزاج إلى هذا الحدّ ، وهى دعابات أكل منها الدهر وشرب ، من أيام تسمية كلية العلوم بـ (كلية فن العوم) ، و(أنا بقرا) إلى (أنا بقرة) .. طبعًا لابد من إنهاء هذه الدعابات بالكثير من الـ (هاهاهاهاى) !

تقول إننى رددت عليك فى الكتيب (44) ! لماذا لم تقل من البداية إذن ؟ القصيدة كانت تحوى بعض أخطاء القواعد يا (إبراهيم) ، وبالطبع واضح تمامًا أنها من الشعر الحرّ ، وهو يختلف عن القصيدة النثرية طبعًا ..

يرغمنى (إبراهيم) على سماع أغنية (عمرو دياب) معه .. والكلمات جميلة ولابأس بها .. أقترح أن تقرأ (فانتازيا) الكتيب رقم (6) صفحة 8 ، 9 .. لتعرف أن المؤلف يؤمن بالفنون جميعًا .. حتى أغنية (السح دح) ـ كمثال ذكرته ـ لها مقاييسها الخاصة ومعايير جودة أو رداءة خاصة بها ..

أنا لم أتهم الأدب العربى بالتقصير فى مجال القصة .. اتهمته بالتقصير فى مجال القصة البوليسية أو قصة

المغامرة .. لو انتزعت منه كتابات الأستاذ (محمود سالم) و د. (نبيل فاروق) و أ. (رءوف وصفى) فماذا يبقى ؟

لا أريد أن أكون خشنًا ، لكن ألا ترى معى أنك تبالغ فى عبارات مثل (قصيدتى لم تعجب السيادة) .. (لو كنت تعلم الفرق بين الشعر الحرّ والمنظوم) ..

(لو أنك فقط تقرأ) ؟ كل هذا لأننى مارست ما تصورت أنه حقى فى انتقاد قصيدة ..

وبعد هذا ، القصيدة الحالية بها أخطاء قواعد واضحة مثل (أتمنى أن تتادينى) .. لماذا لم تحذف النونِ الملحقة بالياء يا أبا خليل ؟ و(أنت فى حضورك ليلا مهابًا) .. لماذا تنصب الخبر يا أبا خليل ؟ (رؤياك) ليست مرادفًا للرؤية .. الرؤيا هى ما يُرى فى أثناء النوم فقط ..

طلبت منى ردًا (عِليه القيمة) ، وهأنذا قد رددت .. لا أحب أن أكون خشنًا ، لكن العدوانية تجعل أى شخص عدوانيًّا ، حتى لو كان (رفعت إسماعيل) ..

ما رأى القراء ؟

● الصديقة / منة اللَّه :

لم تحب (منة) أسطورة (رجل بكين) ، خاصة

أن (رفعت) لم يكن فيها تقريبًا .. كما أنها شعرت بتقزز بالغ من (بيت الأفاعى) ..

تحب (منة) اللغة العربية لكنها تكره دراستها فى المدرسة .. وأنا قلت شيئا مماثلا عن الرسم .. لكن اللغة العربية طبعًا فائقة الإمتاع شديدة الثراء ، ويمكن لواحد مثل (عباس محمود العقاد) أن يصير من سادتها ، برغم أنه لم يلق قسطًا وافرًا من التعليم ..

لا أرى فى كلامك أى تناقض .. تقولين ـ كمثال للتناقض ـ إنك لاتستطيعين مجاملة شخص تكرهينه .. وما التناقص فى ذلك ؟ التناقض والفصام هو ما سيحدث حين تكبرين أكثر ، وتتعلمين التودد إلى من لاتتحملين رؤيته ، وتملق من تزدرينه .. أنت فى سن المثاليات ، لكنك ستتعلمين قواعد اللعبة سريعًا جدًّا .. صدقينى .. ومن لايتعلمها يصر شاعرًا أو ثائرًا أو مريض اكتئاب !

تقولين إن من يولدون فى سن سبعة أشهر يكونون عصبيين .. قديمًا اعتقد الناس ذلك ومازالوا ، لكن لم أقرأ قط أن لهذا أساسًا علميًّا ، واسم (خديجة) عند العرب يشير للمولود الخداج (الناقص) .. أى الذى لم يستكمل تسعة أشهر الحمل ..

(منة) تدعى أحيانًا باسم Quicky لأنها مولعة بالسرعة فى كل شىء من حياتها ، وأنتظر منها المزيد من خطاباتها الممتعة ..

● الصديقة / مروة عبد الوهاب ـ حلوان :

شكرًا على الكارت الجميل .. طالبة فى كلية الآداب هى .. قسم تاريخ .

وتتوقع أن أندهش .. ولماذا أندهش يا (مروة) ؟ أنا أعانى حالة حسد مزمنة لكل من يدرس فى كلية الآداب ..

لم تحب نهاية (رعب المستنقعات) المفتوحة .. هى ليست مفتوحة يا (مروة) بل هى مواربة !

طبعًا قرأت (الحرب والسلام) و(أنا كارنينا) و(أحدب النوتردام) .. هذه هى أول كتب يقرؤها من يهتم بالقراءة .. طبعًا لابد من (نجيب محفوظ) و(يوسف إدريس) ـ الكثير منهما ـ بالإضافة إلى قراءة كل شىء تحبين قراءته ..

الحقيقة أن القراءة (الإجبارية) بأسلوب إرغام النفس لا يبقى منها شىء ، وفى الغالب تتبخر بعد ساعات ..

لاتوجد أمراض تحول المرء إلى مصاص دماء ، لكن

مرض (البورفيريا) يحوله إلى ما يشبه مصاص الدماء أو المذءوب .. والمرض المذكور خلل وراثى فى تمثيل الحديد ، وثمة صور لهذا المرض يمكن أن تملأ كوابيسك .. لكن العلم الحديث يحاول جاهدًا القضاء عليه ، وهو على الأقل يعرف ما يزيد من نوباته وما يبدؤها .. ومريض (البورفيريا) يعرف قائمة طويلة من الأدوية التى عليه أن يتجنبها بأى ثمن ..

شكرًا يا مروة ..

● الصديق / محمد مختار حسن ـ القاهرة :

(محمد) صغير السن جدًا ، لكن خطه رائع ورسمه لا بأس به أبدًا .. وزنه زائد قليلاً حاليًّا بالنسبة لطوله (يذكر مقاييسه فى الخطاب) لكن هذا لايفسد الودّ بيننا !

سأنفذ نصيحتك ، وأرجو أن تمرّ على خير .

● الصديقة / ليلى محمد الغشم ـ اليمن :

خطاب رقيق من (ليلى) تسألنى فيه عن سبب إفاقة الإنسان من النوم ، حين يطعنه أحدهم فى الحلم ، ليشعر بألم فى مكان الطعنة .. الألم حدث أولاً يا (ليلى) وتم

تلفيق الحلم عليه ، ويسمون هذه (أحلام المنبه) .. راجعى (أسطورة آخر الليل) ، ففيها ثرثرة طويلة حول هذا الموضوع ..

الحقيقة لم أفهم سؤالك عن الأشباح ، وتطلبين منى ألا (أتريأش عليك) لأنك تنقلين من موضوع لآخر .. واضح طبعًا من السياق أن (أتريأش) هى المعادل اليمنى لـ (أتريق) المصرية أو (أتهكم) الفصحى ، وبالطبع لن أفعل هذا يا (ليلى) ، لكنك أضفت لمصطلحاتى تعبيرًا جديدًا .. أى أننى المستفيد من هذا الخطاب !

والآن صار علىّ أن أترككم ، وهو فراق يحزننى جدًّا ، لكن لا بد من أن يتوقف المرء فى لحظة ما ..

أراكم على خير فى معرض الكتاب إن شاء اللّه .. وسأكون لابسًا بذلتى الزرقاء التى تجعلنى فاتنًا ، وهكذا يمكنكم معرفتى بسهولة !

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

1 - أسطورة مصاص الدماء .
2 - أسطورة النداهة .
3 - أسطورة وحش البحيرة .
4 - أسطورة آكل البشر .
5 - أسطورة الموتى الأحياء .
6 - أسطورة رأس ميدوسا .
7 - أسطورة حارس الكهف .
8 - أسطورة أرض أخرى .
9 - أسطورة لعنة الفرعون .
10 - أسطورة حلقة الرعب .
11 - أسطورة الكاهن الأخير .
12 - أسطورة البيت .
13 - أسطورة اللهب الأزرق .
14 - أسطورة رجل الثلوج .
15 - أسطورة النبات .
16 - أسطورة الناقاراى .
17 - أسطورة حسناء المقبرة .
18 - أسطورة الغرباء .
19 - أسطورة بو .
20 - حكايات التاروت .
21 - أسطورة عدو الشمس .
22 - أسطورة المينوتور .
23 - أسطورة رعب المستنقعات .
24 - أسطورة إيجور .
25 - أسطورة الجنرال العائد .
26 - أسطورة المواجهه .
27 - أسطورتنا .
28 - أسطورة آخر الليل .
29 - أسطورة الجاثوم .
30 - أسطورة بعد منتصف الليل .
31 - أسطورتها .
32 - أسطورة رفعت .
33 - أسطورة أرض المغول .
34 - أسطورة الشاحبين .
35 - أسطورة دماء دراكيولا .
36 - أسطورة الفصيلة السادسة .
37 - أسطورة الدمية .
38 - أسطورة النصف الآخر .
39 - أسطورة التوءمين .
40 - وراء الباب المغلق .
41 - أسطورة فرانكنشتاين .
42 - أسطورة الكلمات السبع .
43 - أسطورة تختلف .
44 - أسطورة رجل بكين .
45 - أسطورة بيت الأفاعى .
46 - أسطورة طفل آخر .
47 - أسطورة المنزل رقم (٥) .
48 - أسطورة المومياء .
49 - أسطورة العشيرة .
50 - من جانب النجوم .

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

1 - الاختفاء الغامض .
2 - سباق الموت .
3 - قناع الخطر .
4 - صائد الجواسيس .
5 - الجليد الدامي .
6 - قتال الذئاب .
7 - بريق الماس .
8 - غريم الشيطان .
9 - أنياب الثعبان .
10 - المال الملعون .
11 - المؤامرة الخفية .
12 - حلفاء الشر .
13 - أرض الأهوال .
14 - عملية مونت كارلو .
15 - إمبراطورية السم .
16 - الخدعة الأخيرة .
17 - انتقام العقرب .
18 - قاهر العمالقة جـ ١ .
19 - أبواب الجحيم جـ ٢ .
20 - ثعلب الثلوج .
21 - مضيق النيران .
22 - أصابع الدمار .
23 - فارس اللؤلؤ .
24 - الضباب القاتل .
25 - الخنجر الفضي .
26 - آخر الجبابرة .
27 - الجوهرة السوداء .
28 - قلب العاصفة .
29 - الصراع الشيطاني .
30 - الرمال المحرقة .
31 - الخطوة الأولى .
32 - خيط اللهب .
33 - القوة (أ) .
34 - مارد الغضب .
35 - قراصنة الجو .
36 - ذئب الأحراش .
37 - مخلب الشيطان .
38 - لعبة المحترفين .
39 - أعماق الخطر .
40 - مهنتي القتل .
41 - الانتحاريون .
42 - الهدف القاتل .
43 - المخاطر .
44 - العين الثالثة .
45 - القضبان الجليدية .
46 - لهيب الثلج .
47 - الرصاصة الذهبية .
48 - شيطان المافيا .
49 - الضربة القاضية .
50 - مهمة خاصة .
51 - سم الكوبرا .
52 - جبال الموت .
53 - ذئاب ودماء .
54 - رحلة الهلاك .
55 - أفعى برشلونة .
56 - الفهد الأبيض .
57 - عملية الأدغال .
58 - أعدام بطل .
59 - أنتقام شبح .
60 - دونا كارولينا .
61 - ملائكة الجحيم .
62 - ملك العصابات .
63 - الجاسوس .
64 - تحت الصفر .
65 - الجليد ش .
66 - ألف وجه .
67 - الجحيم المزدوج .
68 - قلعة الصقور .
69 - أجنحة الانتقام .
70 - أباطرة الشر .
71 - ضد القانون .
72 - شريعة الغاب .
73 - المعتقل الرهيب .
74 - الدائرة الجهنمية .
75 - أسوار الجحيم .
76 - النهر الأسود .
77 - عمالقة مارسيليا .
78 - صحراء الدم جـ ١ .
79 - صفقة الموت جـ ٢ .
80 - وكر الإرهاب جـ ٣ .
81 - الرجل الآخر جـ ١ .
82 - الأخطبوط .
83 - معركة القمة .
84 - جزيرة الجحيم .
85 - لمسة الشر .
86 - الثعلب .
87 - خط المواجهة .
88 - سفير الخطر .
89 - قبضة السفاح .
90 - الهدف .
91 - الوجه الخفي .
92 - الخطر .
93 - أرض العدو .
94 - كتيبة الدمار .
95 - الصراع الوحشي .
96 - المعركة الفاصلة .
97 - الصقر الأعمى .
98 - القناص .
99 - مذاق الدم .
100 - الضربة القاصمة .
101 - انقلاب .
102 - نهر الدم .
103 - المحترف .
104 - الإعصار الأحمر .
105 - عقارب الساعة .
106 - الأفعى .
107 - اتحاد القتلة .
108 - الفخ .
109 - قبضة الشر .
110 - اغتيال .
111 - معبد الجريمة .
112 - الفريق الأسود .
113 - رياح الخطر .
114 - ممر الجحيم .
115 - بلا رحمة .
116 - مهرجان الموت .
117 - عمالقة الجبال .
118 - الأربعة الكبار .
119 - فوق القمة .
120 - السنيورا .
121 - وجه الأفعى .
122 - الأصابع الذهبية .
123 - المستحيل .
124 - اللمسة الأخيرة .
125 - عملية النيل .
126 - ساعة الصفر .
127 - نقطة الضعف .
128 - الصحوة .
129 - القراصنة .
130 - محيط الدم .
131 - الحدود .
132 - الرمال الحية .
133 - فريق المستحيل
134 - الأبطال .
135 - الأستاذ .
136 - المغامرة الكبرى .

سافارى

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ الوباء .
2 ـ خاطفوا الأجساد .
3 ـ الحريق .
4 ـ رقصة الموت .
5 ـ تجربة محرمة .
6 ـ أشياء تحدث ليلاً .
7 ـ الآن تراه .
8 ـ الكابوس .
9 ـ الفصيلة .
10 ـ العاشر .
11ـ يوم ثارت الوحوش .
12 ـ أرض الجنون .
13 ـ تسى تسى ! .
14 ـ إنهم يعودون أحيانًا .
15 ـ الرجل الذى لم يكن .
16 ـ ؟؟؟ .
17 ـ دواء يقتل .
18 ـ عام الأفاعى .
19 ـ الجمجمة .

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٠٩٤٩
٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٦٤٦ ـ ٤